باسم الهاشمي

المخلص

بين الإسلام والمسيحية

بحث في تعاون المهدي والمسيح ع

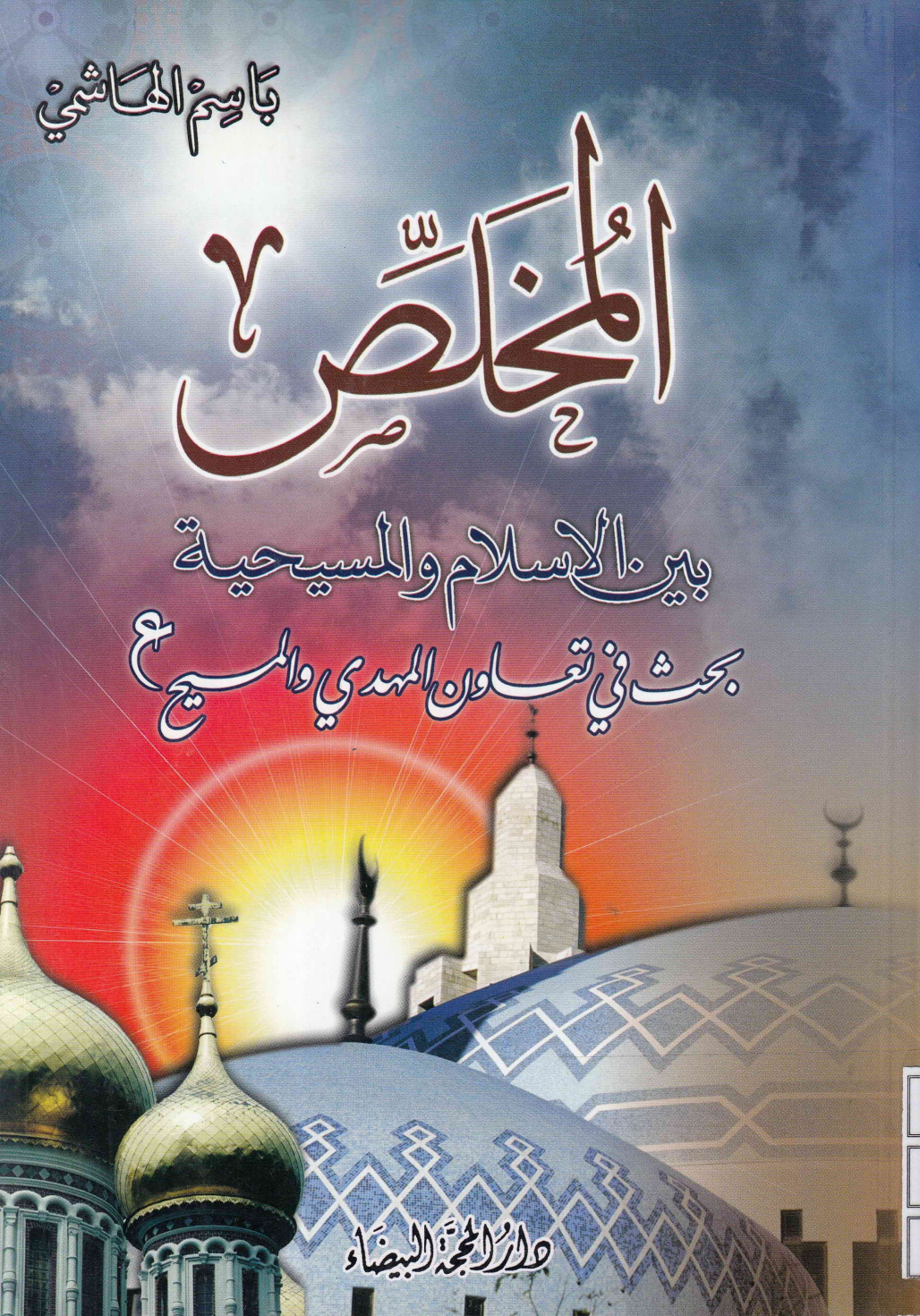

دار المحجة البيضاء

المخلّص
بين
الإسلام والمسيحية

المخلّص
بين
الإسلام والمسيحية

بحث في تعاون المهدي والمسيح

باسم الهاشمي

دار المحجة البيضاء
دار الرسول الأكرم ﷺ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلط
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٥٤١٢١١/
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

الإهداء

إلى منتهى الآمال
ورجاء الأولياء
إلى سفير الله
وخاتم الأوصياء
إلى بقية الله
وإمام الأتقياء
راجياً الرضا والقبول

بسم الله الرحمٰن الرحيم

المقدمة:

إن مسألة الإمام المهدي وغيبته وانتظاره هي من أهم المسائل المعاصرة في حياة المسلمين وحركة الدين الإلهي على الأرض ولكن وللأسف لا تحوز هذه المسألة على الاهتمام الجاد من معظم المسلمين بل والمؤمنين أيضاً، ولعل من أهم أسباب ذلك هو طول فترة غيبة المهدي حتى أصبح الناس لا يدركون وجوده وقضيته ولا يكمن في أذهانهم إلا معلومات عامة عنه مع الرغبة والتمني لظهوره وبإطار من اليأس الواقعي ـ وليس العلمي ـ فهم يقولون بإمكان ظهوره في أي وقت كان في حين لم يدخلوا ذلك في حساباتهم ولم يستعدوا له كما ينبغي.

ولو أدرك المؤمنون والصالحون أهمية هذا الموضوع وجدّيته وإمكان وقوعه في عصرنا وجيلنا ـ وحتىٰ إذا لم يقع لم نخسر شيئاً بانتظاره والترقب والاستعداد له بل سنحصل على ثواب المنتظرين ونكون كمن جاهد بين يديه كما ورد في الأخبار الموثقة ـ لكان اهتمامهم به أكثر فأكثر.

ولذا أدعو نفسي وكافة إخواني بل وكل من له اهتمام علمي أو عملي بمستقبل الإنسانية ونهاية التاريخ البشري على الأرض والمرحلة الأخيرة في حركة الدين في المجتمع الإنساني إلى دراسة موضوع الإمام المهدي في مختلف جوانبه دراسة موضوعية متخصصة ومنها قراءة هذا الكتاب الشامل

والمختصر في قضية الإمام منذ بعثة النبي محمدﷺ وحتى ظهوره مروراً بولادته وغيبته وانتظاره، ثم سنتحدث بشيء من التفصيل عن المسيح والمسيحيين وعلاقتهم بقضية الإمام المهدي وهو موضوع لم تسلّط عليه الأضواء بشكل واسع مع ورود الإشارة إليه في الأخبار والروايات الإسلامية بل وفي الإنجيل[1] أيضاً.

وكلنا أمل أن يُقرأ هذا الكتاب بتمعّن وتجرّد ونحن لا نريد منه إلاّ الوصول إلىٰ الحقائق العلمية ووضع لبنة في صرح الثقافة الإسلامية والإنسانية، والله المستعان.

باسم الهاشمي

بيروت ـ ١٩٩٦

(١) راجع كتابنا «المهدي والمسيح ـ قراءة في الإنجيل».

المخلّص عند المسلمين

بعثة النبي محمد ﷺ

ولد النبي محمدﷺ في سنة «٥٧٠م» في مكة المكرمة، وبعد أن عاش في قومه أربعين عاماً بعث نبيّاً للعالمين جميعاً باعتباره خاتماً لمسيرة الأنبياء على الأرض.

قال الله تعالىٰ لنبيه محمدﷺ: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[١].

وقال أيضاً: **﴿ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**[٢].

فجاء دينه مكملاً للشرائع السماوية وحاوياً على ما يرتضيه الله عزّ وجلّ لعباده في حياتهم الفردية والاجتماعية من أحكام وشرائع وعقائد وعلوم تسمو بالإنسان وبالمجتمع الإنساني من واقع الجهل والظلمات إلى رحاب الله والنور الإلهي في مسيرة تكاملية يقودها خاتم الأنبياء محمدﷺ.

وبعد أن تحمل رسول الله من الناس ما تحمّل وقدّم الأدلة والبراهين والمعاجز الدالة على نبوّته وارتباطه بالله عزّ وجلّ من القرآن الكريم والإخبار بالغيب وتكليم الحيوانات وإحياء الأموات وغير ذلك مما يكشف عن جلالة قدره وسموّ رسالته، انتشر الإسلام بينهم عرباً وعجماً وأحراراً وعبيداً وحتى

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

بين المسيحيين واليهود إلا أن الدخول بهذا الدين كان طوعياً حتى عندما قامت الدولة الإسلامية، فلا إكراه في الدين، وقد بقيت أقليات من أتباع الديانات السماوية تعيش في المجتمع الإسلامي ضمن شروط وحقوق وواجبات خاصة.

إن الهدف من بعثة الأنبياء والرسل وإنزال الشرائع السماوية هو هداية الإنسان في بعديه الفردي والاجتماعي نحو الله والحقيقة والصلاح، فيكون عابداً لله وسائراً مع الحق والحقيقة، وصالحاً في حياته فلا كفر ولا ضلال ولا فساد. وهذا هو الهدف المطلوب على مستوى الخليقة جمعاء والأرض كلها، فعندما جاء النبي محمدﷺ بالشريعة الكاملة النهائية والخاتمة للشرائع حيث حلاله حلال إلىٰ يوم القيامة وحرامه حرام إلىٰ يوم القيامة كان الهدف أن يُلتزم بها ويُستضاء بنور هدايتها.

ولكن أنّىٰ لدين يعتمد منهج: **﴿لا إكراه في الدين﴾** أن ينتشر ليصل إلى أرجاء العالم من غير سيوف وحروب، أما الحروب التي قامت في صدر الإسلام فكثير منها كانت دفاعية[1] سواء في دفع خطر فعلي مباشر أو خطر محتمل من متربصين، الوسيلة التي اعتمدت في نشر الإسلام هي الإقناع والدليل والهداية، ولذا كانت هناك عراقيل كبيرة وكثيرة تقف أمام انتشار هذا الدين الحنيف يقف وراءها الذين ارتبطت مصالحهم وأفكارهم بالباطل فشنّوا الحروب الدموية واستعملوا الأساليب النفوذية في منع هذا الدين من الانتشار وإفراغه من محتواه النوراني المتفجّر وعرقلة المسيرة الإسلامية العالمية، حتىٰ لقد ضُرب النبيﷺ وكُسرت رباعيّته وقامت الحروب (بدر وأحد والأحزاب وغيرها) واستعمل النفاق كأسلوب مواجهة داخل صحابة النبي، وسُعي بقتله، ومنع من الوصيّة الظاهرة ساعة وفاته لما أراد أن يكتب كتاباً لن يضلّوا من بعده أبداً[2] واتهموه بالهجر وغلبة الوجع إلى ما يطول ويطول شرحه!.

وكان الله جلّ وعلا عالماً بما سيكون من أمر الرسالة والأمّة فقدّر

---

(١) هذا غير الحروب التي شنّها الإسلام على المشركين وعبدة الأوثان لأنهم خطر جوهري على البشرية لا يسمح له بالاستمرار.

(٢) راجع صحيح البخاري في باب مرض النبي وغيره من المصادر التاريخية.

وقضىٰ استمرار المسيرة حتىٰ بلوغها الهدف المنشود برعاية قادة ربانيّين يخلفون النبيﷺ إلىٰ يوم القيامة رغم كل العراقيل والجهود التي تبذل لافشال ذلك كمنع بعض الصحابة النبيﷺ أن يكتب الكتاب ليعين الخليفة الرباني بعده لأن الأرض لا تخلو من حجّة لله فيها على الناس نبيّاً كان أو وصي نبي كما روي عن الأئمةعليهم السلام قولهم: «إن الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه إلىٰ يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1].

وعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: «لم تخلو الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلىٰ أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله»[2].

لأن عبادة الله على مستوىٰ الفرد والمجتمع منهج يحتاج إلى تعليم وهداية وقدوة ربانية عالمة بالنهج الرباني وملتزمة بتفاصيله تقود عملية الصلاح والإصلاح فكان الأنبياء ثم الأوصياء من بعدهم.

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٦٠ عن إكمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٢ عن أمالي الصدوق.

أوصياء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

إن دور النبي محمد صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة وإقامة المجتمع الإسلامي على الأرض كلها تصدىٰ لإتمامه اثنا عشر وصياً عيّنهم واختارهم الله عزّ وجلّ وأخبر عنهم النبي صلى الله عليه وآله.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الإمامة عهد من الله عزّ وجلّ معهود لرجال مسمّين...»[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «الخلفاء بعدي اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل»[2].

وقال أيضاً: «لا يزال الدين قائماً حتىٰ تقوم الساعة ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[3].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «اثنا عشر إماماً منهم علي والحسن والحسين ثم الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام»[4].

وبدأت هذه المسيرة في خلافة النبي ووصايته بعد وفاته بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من الواجب أن يتسلم قيادة الدولة

---

(١) أصول الكافي ١: ٣٣٤ ح٣ والروايات كثيرة في الإمامة يراجع بشأنها كتاب بحار الأنوار أبواب الإمامة، وأيضاً صحيح مسلم والبخاري وغيرها.

(٢) الخصال ٢: ٤٦٨ ح٨.

(٣) الخصال ٢: ٤٧٣ ح٣٠.

(٤) الخصال ٢: ٤٨٠ ح٥١.

والمجتمع الإسلامي بعد النبي إلا أن للأسف لم يتم للنبي ما أراد في أمته حيث أُقصي الوصي عن الخلافة وذهبت لغيره فترة طويلة من الزمن ثم عادت إليه بعد ثلاثة خلفاء وقد دب الضعف في المسيرة وبدأت الخلافات والفتن بالانتشار حتىٰ إنه لم يُمهل فرصة لإصلاح المجتمع والدولة في حكمه الذي دام ثلاث سنوات قضاها بثلاثة حروب دامية مع البغاة والخارجين علىٰ إمامهم، ثم انتهت باغتياله في مسجد الكوفة!

وبعد أن استلم الحكم ولده الحسن لأنه الوصي الثاني بأمر الله تعالىٰ وتبليغ النبيﷺ لم تنته الفتن حتىٰ اضطر إلىٰ الصلح مع الباغي معاوية بشروط كثيرة لم يفِ بها معاوية فخالفها بشكل علني وصريح وقتل الإمام الحسن بالسمّ.

وبعد الحسن انتقلت الوصاية والإمامة لأخيه الحسين عليه السلام الذي قتل ظلماً وعدواناً من قبل الحاكم الظالم لأنه رفض البيعة والقبول به حيث في ذلك الوقت أصبح الانحراف عن المسيرة الإسلامية الحقة في مرحلة خطرة تنذر بالسقوط البعيد المدىٰ للأسس الإسلامية في المجتمع وضياع المبادىء والقيم الإسلامية واختلاطها بالباطل فكان لموقفه كل الأثر في كشف زيف السلطة المتلبسة بلباس الإسلام وإعلان الانفصال بين الدين الحقيقي المنحسر والملتزمين به بصدق وبين مسيرة الدولة المتظاهرة بالدين، وانقسم المسلمون بينهما.

ثم تولى الإمامة التي حوربت مع أتباعها والثابتين عليها من المسلمين ـ وقليل ما هم ـ ابنه الوصي الإمام علي بن الحسين فمارس دوره وهو تحت أنظار السلطة حتىٰ دُسَّ له السم ومات فجاء دور الأوصياء محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسىٰ بن جعفر ثم علي بن موسىٰ ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي الوصي الحادي عشر وكل منهم مارس دوره في التبليغ والهداية والإرشاد بمقدار ما سمحت له الظروف والدولة التي استمرت مستأثرة بالحكم ومتظاهرة بالإسلام في حين أنها كانت لا تتورع عن ارتكاب المحارم وبأوضح صوره من قتل وسكر وزنا وفساد وظلم حتى من الخليفة نفسه فضلاً عن حاشيته مع المحافظة على بعض المظاهر الإسلامية كحدّ أدنىٰ يكون مادة لخداع البسطاء من المسلمين.

وكانت نسبة أعمار الأئمة في تناقص مستمر لزيادة انحراف السلطة وبالتالي ازدياد خوفها من الأئمة حتىٰ أن الإمام محمد بن علي الجواد استشهد وهو في الرابعة والعشرين من عمره تقريباً، وذلك لأن السلطة كانت تعي ما يمثل هؤلاء من دين حقيقي يمكن أن يشق طريقه إلىٰ الحكم وسط ترحيب قسم من المسلمين الذين اتضح لديهم انحراف السلطة عن الإسلام الحقيقي إلا أنهم لا يملكون القدرة الكافية للتغيير أمام بطش الدولة وأتباعها والمستفيدين منها رغم كل الثورات التي قامت على مدىٰ التاريخ الإسلامي حينها، وكل مرّة تخمد الثورة ويقتل أتباعها ويشدد على الإمام المعاصر باعتباره الرمز الناصع والشعار الواضح لهذه الثورات الإسلامية ثم ينتهي الأمر بقتله للإطمئنان من جانبه على الحكم وأهله.

وبهذا كانت فرص تطبيق الإسلام وعودته إلى الحياة ونشره في الأرض كلها تتراجع باستمرار وتتبدد الطاقات ويصعب التغيير ولكن هل يُترك الأمر، وتفشل الرسالة الإسلامية في الوصول إلى أهدافها، وتسقط بذلك الأهداف الربانية في خلق الإنسان والإنسانية؟

كلا وألف كلا!!

فحاشا لله أن لا يبلغ أمره ولا يحقق هدفه: ﴿**إن الله بالغ أمره**﴾[1] وقد: ﴿**كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز**﴾[2] مع أن الله عزّ وجلّ لا يريد إقامة الحكم الإلهي على الأرض بالمعجزة واستعمال القدرة الربانية القاهرة ولو أراد ذلك لفعله أيام رسوله محمدﷺ بعدما أتم إنزال الرسالة الكاملة، ولكنه جلّ وعلا جعل الاختيار أساساً للدين والالتزام بالأحكام من قبل الفرد والمجتمع ليتحقق الامتحان والاختبار الموجب للثواب والعقاب.

ولذا أمهل الله الناس فترة طويلة خلال التاريخ الإنساني الطويل يجربون ويتعلمون العبر مع إرساله الأنبياء والأوصياء لهم ليهدوهم إلى سبيل الرشاد دون إكراه أو إجبار وللأسف ما كان منهم إلا رفض الهداية بل ومحاربة

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٣.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢١.

الأنبياء والأوصياء والأولياء وقتلهم إلا قليل من الناس الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانضموا إلىٰ الأنبياء والأوصياء وإلىٰ المسيرة الإلهية وتحملوا الأذىٰ في سبيل ذلك.

وبعد أن جاء الإسلام ـ الشريعة الإلهية التامة ـ وبدأت المرحلة الأخيرة في مسيرة الأنبياء والشرائع ثم كانت إعاقة جهود النبي في تطبيق حكم الله في الأرض كلها طوعاً وتوفي النبي وقتل أوصياؤه ولم يبق منهم إلا وصي واحد هو الأخير بتعيين الله، كان الدين الإلهي على مفترق طرق فإما أن يستمر الانحراف عن الدين ويقتل هذا الوصي وينتهي كل شيء أو يكون هذا الإمام هو القائد الحاسم للمرحلة الحاسمة في تاريخ الدين الإلهي على الأرض!

لا شك ـ وكما قلنا ـ أن الله عزّ وجلّ لا يغلب على أمره بل هو ماضٍ بكل حكمة وأناة وتدبير في هداية البشرية، لأن الله لا يعجل لعجلة العباد، إنما يعجل من يخاف الفوت!.

فكيف ستكون ولادة وحياة هذا الوصي الأخير، الإمام المهدي وكيف سيمارس مهمته ليصل إلىٰ الهدف الرباني المنشود في الأرض؟.

ولأهمية دور هذا الوصي ولأننا لا زلنا نعيش في فترة وصايته سنتطرق بتفصيل قدر الإمكان لبعض شؤونه وأمره.

أُم الإمام المهدي

إن أم الإمام المهدي تتمتع بأهمية خاصة منبثقة من أهمية مولودها الجليل ودوره الكبير ومن الملفت للنظر أنها مسيحية في الأصل وحفيدة قيصر الروم، وقد حدثت قصة رتبّت فصولها الحكمة الإلهية لتصل هذه المرأة العظيمة إلىٰ البلاد الإسلامية ويتزوجها الوصي الحادي عشر الإمام الحسن العسكري والد الإمام المهدي بأمر وإسناد إلهي فتكون منهما الثمرة الجليلة، وإليك القصة كما وردت في بعض المصادر الإسلامية:

قال بشر بن سليمان النخّاس (أي: بائع العبيد والإماء) وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري، أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد (أي: الإمام الهادي وولده الإمام الحسن العسكري) وجارهما بسرّ من رأىٰ: أتاني كافور الخادم (لدىٰ الإمام الهادي) فقال: مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري (الهادي) يدعوك إليه.

فأتيته، فلمّا جلست بين يديه قال لي: يا بشر، إنك من ولد الأنصار وهذه الموالاة (إي: لأهل البيت) لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وإني مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بسرّ أطلعك عليه، وأنفذك (أي: أرسلك) في ابتياع أمة.

فكتب كتاباً لطيفاً بخطٍّ رومي ولغة رومية، وطبع عليه خاتمه وأخرج شقّة صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال: خذها وتوجّه بها إلىٰ بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة يوم (كذا) فإذا وصلت إلىٰ جانبك زواريق

السبايا وترىٰ الجواري فيها ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العباس وشرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فاشرف من البُعد على المسمّىٰ عمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك إلىٰ أن تبرز للمبتاعين جارية صفتها (كذا وكذا) لابسة حريرين صفيقين، تمتنع من العرض ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها، وتسمع صرخة رومية من وراء ستر رقيق فاعلم أنها تقول: واهتك ستراه!

فيقول بعض المبتاعين: عليّ ثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة.

فتقول له بالعربية: لو برزت في زيّ سليمان بن داود وعلىٰ شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة فاشفق علىٰ مالك!

فيقول النخّاس: فما الحيلة ولا بدّ من بيعك؟!

فتقول الجارية: وما العجلة ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه وإلىٰ وفائه وأمانته.

فعند ذلك قم إلىٰ عمر بن يزيد وقل له أن معك كتاباً ملطّفة لبعض الأشراف كتبه بلغة روميّة وخط روميّ ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه تناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر بن سليمان: فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن في أمر الجارية، فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً وقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب.

وحلفت بالمحرّجة والمغلظة (أي: من الأَيمان) أنه متىٰ امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت أشاحّه في ثمنها حتىٰ استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي من الدنانير، فاستوفاه وتسلّمت الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها إلىٰ الحجيرة التي كنت آوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتىٰ أخرجت كتاب مولانا من جيبها وهي تلثمه وتطبّقه على جفنها وتضعه على خدّها وتمسحه على بدنها فقلت تعجّباً منها: تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه؟!

فقالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء (أي: بمقامهم) أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك!

أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم وأمّي من ولد الحواريّين تنسب إلىٰ وصيّ المسيح شمعون، أنبّئك بالعجب:

إن جدّي قيصر أراد أن يزوّجني من ابن أخيه وأنا من بنات ثلاث عشرة سنة، فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسّيسين والرهبان ثلاثمائة رجل ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل وجمعَ من أمراء الأجناد وقوّاد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشاير أربعة آلاف وأبرز من بهيّ ملكه عرشاً مساغاً من أصناف الجوهر ورفعه فوق أربعين مرقاة فلمّا صعد ابن أخيه وأحدقت الصّلب وقامت الأساقفة عكّفاً ونشرت أسفار الإنجيل تسافلت الصلب من الأعلىٰ فلصقت الأرض، وتقوّضت أعمدة العرش فانهارت إلىٰ القرار وخرّ الصاعد من العرش مغشيّاً عليه فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم فقال كبيرهم لجدّي: أيها الملك أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني.

فتطيّر جدّي من ذلك تطيّراً شديداً وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا الصلبان واحضروا أخا هذا المدبّر العاهر المنكوس جدّه لأُزوجه هذه الصبيّة فيدفع نحوسه عنكم بسعوده.

ولما فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأول، وتفرّق الناس وقام جدّي قيصر مغتمّاً فدخل منزل النساء وأرخيت السّتور وأريت في تلك الليلة كأن المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا فيه منبراً من نور يباري السماء علوّاً وارتفاعاً في الموضع الذي كان نصب جدّي فيه عرشه ودخل عليه محمدﷺ وختنه ووصيّه وعدّة من أبنائه.

فتقدم المسيح إليه فاعتنقه وقال له محمدﷺ: يا روح الله إني جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لإبني هذا.

وأومأ إلى أبي محمد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلىٰ شمعون وقال له: قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم آل محمدﷺ.

قال: قد فعلت.

فصعد ذلك المنبر فخطب محمدﷺ وزوجني من ابنه وشهد المسيح عليه السلام وشهد أبناء محمد والحواريّون.

فلما استيقظت أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّيّ مخافة القتل فكنت أسرّها ولا أبديها لهم، وضُرب صدري بمحبة أبي محمّد حتىٰ امتنعت من الطعام والشراب فضعفت نفسي ودقّ شخصي ومرضت مرضاً شديداً فما بقي في مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدّي وسأله عن دوائي، فلمّا برح به اليأس قال لي: يا قرّة عيني هل يخطر ببالك شهوة فأزوّدكها في هذه الدنيا؟

فقلت: يا جدّي أرى أبواب الفرج عليّ مغلقة فلو كشفت العذاب ممّن في سجنك من أسارىٰ المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدَّقت عليهم ومنيّتهم الخلاص رجوت أن يهب لي المسيح وأمّه عافية!

فلمّا فعل ذلك تجلّدت في إظهار الصحة من بدني قليلاً وتناولت يسيراً من الطعام فسرّ بذلك وأقبل على إكرام الأسارىٰ وإعزازهم.

فأريت أيضاً بعد أربع عشرة ليلة كأن سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف من وصائف الجنان فقالت لي مريم: هذه سيدة النساء أمّ زوجك أبي محمد.

فأتعلّق بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد من زيارتي فقالت سيدة النساء عليها السلام: إن ابني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارىٰ وهذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلىٰ الله من دينك فإن ملت إلى رضى الله تعالى ورضىٰ المسيح ومريم عليه السلام وزيارة أبي محمد إياك فقولي: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبي محمداً رسول الله.

فلمّا تكلمت بهذه الكلمة ضمّتني إلىٰ صدرها سيدة نساء العالمين وطيّبت نفسي وقالت: الآن توقعي زيارة أبي محمد وإني منفذته إليك.

فانتبهت وأنا أتوقّع لقاء أبي محمد، فلمّا كان في الليلة القابلة رأيت أبا محمد وكأني أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبّك؟!

فقال: ما كان تأخّري عنك إلا لشركك فقد أسلمت وأنا زائرك في كل ليلة إلىٰ أن يجمع الله شملنا في العيان.

فما قطع عنّي زيارته بعد ذلك إلىٰ هذه الغاية.

قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسارىٰ؟

فقالت: أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي: إن جدّك سيسيّر جيشاً إلىٰ قتال المسلمين يوم (كذا وكذا) ثم يتبعهم فعليك باللحاق بهم متنكّرة في زي الخدم مع عدّة من الوصايف من طريق (كذا).

ففعلت ذلك فوقفت علينا طلايع المسلمين حتىٰ كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعر بأني ابنة ملك الروم إلىٰ هذه الغاية أحد سواك وذلك باطلاعي إياك عليه ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت: نرجس.

قلت: العجب أنك رومية ولسانك عربي؟!

قالت: نعم، من ولوع جدّي وحمله إيّاي على تعلّم الآداب أن أوعز إلىٰ امرأة ترجمانة له في الاختلاف إليّ، وكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية حتىٰ استمر لساني عليها واستقام.

قال بشر: فلمّا انكفأت بها إلىٰ سرّ من رأىٰ دخلت على مولاي أبي الحسن عليه السلام فقال لها: كيف أراك الله عزّ الإسلام وذلّ النصرانية وشرف محمد وأهل بيته عليهم السلام؟

قالت: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به منّي!

قال: فإني أحب أن أُكرمك فأيّما أحبّ إليك عشرة آلاف دينار أم بشرىٰ لك بشرف الأبد؟

قالت: بشرىٰ بولد لي؟

قال لها: أبشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قالت: ممّن؟

قال: ممّن خطبك رسول الله ﷺ له ليلة (كذا) في شهر (كذا) من سنة (كذا) (بالروميّة).

ثم قال لها: ممّن زوجك المسيح ووصيّه؟

قالت: من ابنك أبي محمد؟

فقال: هل تعرفينه؟

قالت: وهل خلت ليلة لم يزرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيدة النساء عليها السلام.

قال: فقال مولانا: يا كافور ادع أختي حكيمة.

فلمّا دخلت قال لها: هاهيه!

فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً فقال لها أبو الحسن عليه السلام: يا بنت رسول الله خذيها إلىٰ منزلك وعلّميها الفرائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم[1].

كانت حياة الإمام الحسن العسكري الوصي الحادي عشر قصيرة جداً لم تتجاوز (٢٨) سنة حيث كانت السلطة تضيق عليه كل الضيق وتضعه تحت المراقبة الشديدة في مدينة سامراء التي هي بالأساس حامية عسكرية للعباسيين وقد أجبر الإمام مع والده الإمام الهادي على الإقامة الجبرية فيها، وكان الاتصال بينهما وبين الشيعة يجري بواسطة وكلاء منتشرين في بعض البلدان الإسلامية وبكامل السرية حيث يمارس الإمام دوره بالتوجيه والإجابة على الأسئلة ورعاية شؤون المؤمنين قدر المستطاع.

وكانت مسألة قرب ولادة الوصي الثاني عشر والأخير واضحة لدىٰ الناس ولدىٰ السلطة أيضاً حيث تواترت الأخبار في ذلك عن النبي والأوصياء السابقين كقول النبي ﷺ لأبي طالب: «يا عم يخرج من ولدك اثنا عشر خليفة منهم يخرج المهدي من ولدك به تصلح الأرض ويملأها الله عدلاً كما

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٦ عن غيبة الطوسي (متوفىٰ سنة: ٤٦٠هـ.ق) وعن كمال الدين ٢: ٨٩ للشيخ الصدوق (متوفىٰ سنة: ٣٨١هـ.ق).

ملئت ظلماً وجوراً»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في تحديد المهدي بين بقية الأوصياء قال: «إذا توالت ثلاثة أسماء محمد وعلي والحسن كان رابعهم القائم»[2].

هذا بالإضافة إلىٰ أخبار وروايات كثيرة تحدد مولد الإمام المهدي وصفته وموقعه في سلسلة الأوصياء من أهل البيت وهي تبشّر الناس بمجيئه وثورته.

إنّ هذه البشائر بمولد الإمام المهدي كآخر وصي من أوصياء النبي الاثني عشر ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً جعلت الجميع يترقب هذا المولود المهم بين مستبشرٍ فرح بالخلاص والفَرَج وخائف وجل يحذر من قيامه وقضائه على الحكام الظلمة، وهذا الترقب لم يكن لمجهول بل لشخص مهم ومحدد ومعروف الأب وهو الحسن بن علي العسكري.

ومن هنا قدّر الله عزّ وجلّ أن تكون ولادة الإمام المهدي محاطة بكامل السريّة لأن هدف السلطة من فرضها على الإمام الحسن العسكري الإقامة الجبرية هو القبض على هذا المولود المنتظر وقتله في أول لحظات حياته غافلة عن قدرة الله القاهرة وناسية ما كان من أمر موسىٰ وفرعون وكيف أن إرادة الله عز وجلّ غلبت إرادة فرعون في ولادة موسىٰ عندما بدأ يقتل كل مولود ذكر طلباً لقتل موسىٰ المرتقب فكان فرعون هو الذي يربي موسىٰ بعد ولادته فضلاً عن عدم تمكنه من قتله!

وبالإضافة إلى الإقامة الجبرية وضعت السلطة العباسية الجواسيس رجالاً ونساءاً على بيت الإمام الحسن لترصد الحمل والولادة لهذا الوصي المنتظر فيما دبّرت الحكمة الإلهية الأمر بأن كان الحمل والولادة بكامل السرية وبطريقة إعجازية لأن الضرورة اقتضت تدخّل الإعجاز هنا فلا سبيل غيره للوصول إلىٰ الهدف الرباني وكان ذلك في سنة (٢٥٥) هجري كما نقرأ في هذه الرواية.

---

(١) كتاب حق اليقين للسيد عبد الله شبّر ١: ٣٤٠ عن مصادر المسلمين.

(٢) حق اليقين ١: ٣٨١ عن عيون الأخبار للصدوق.

ولادة المهدي

روي عن حكيمة عمة والد الإمام المهدي قالت: بعث إليّ أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام (أي: والد الإمام المهدي) فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالىٰ سيُظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه.

قالت: فقلت له: ومَن أُمّه؟

قال لي: نرجس.

قلت له: والله ـ جعلني الله فداك ـ ما بها أثر؟!

فقال: هو ما أقول لكِ!

قالت: فجئت، فلما سلّمت وجلست جاءت تنزع خُفّي وقالت لي: يا سيدتي كيف أمسيت؟

فقلت: بل أنتِ سيدتي وسيدة أهلي!

قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟!

قالت: فقلت لها: يا بنيّة، إن الله تبارك وتعالى سيهب لكِ في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والآخرة.

قالت: فجلست واستحيت.

فلمّا أن فرغتُ من صلاة العشاء الآخرة وأفطرتُ وأخذت مضجعي رقدت، فلمّا أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي

وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلست مُعقّبة ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعةً وهي راقدة ثم قامت فصلّت.

قالت حكيمة: فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمّة فإن الأمر قد قرب!

قالت: فقرأت «ألم السجدة» و«يس» فبينما أنا كذلك إذ انتبهتْ فزعة فوثبتُ إليها فقلت: اسم الله عليكِ.

ثم قلت لها: تحسّين شيئاً؟

قالت: نعم يا عمّة.

فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلتُ لكِ.

قالت حكيمة: ثم أخذتني فترة وأخذتها فطرة (أي: ولادة) فانتبهت بحسّ سيدي عليه السلام فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقىٰ الأرض بمساجده فضممته إليّ فإذا أنا به نظيف منظّف فصاح بي أبو محمد عليه السلام: هلمّي إليّ ابني يا عمّة.

فجئت به إليه فوضع يديه تحت إليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدنىٰ لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال: تكلّم يا بني.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله...

ثم صلىٰ على أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلىٰ أن وقف على أبيه ثم أحجم.

قال أبو محمد: يا عمّة اذهبي به إلى أُمّه ليسلّم عليها وائتني به.

فذهبتُ به فسلّم عليها ورددته ووضعته في المجلس ثم قال: يا عمّة إذا كان اليوم السابع فائتينا.

قالت حكيمة: فلمّا أصبحت جئت لأسلّم على أبي محمد فكشفت الستر لأفتقد سيدي فلم أره فقلت له: جعلت فداك، ما فعل سيّدي؟

فقال: يا عمّة إستودعناه الذي استودعته أمّ موسىٰ.

قالت حكيمة: فلما كان في اليوم السابع جئت وسلّمت وجلست فقال: هلمّي إليّ ابني.

فجئت بسيّدي في الخرقة ففعل به كفعلته الأولىٰ ثم أدلىٰ لسانه في فيه كأنه يغذّيه لبناً أو عسلاً ثم قال: تكلّم يا بني.

فقال: اشهد أن لا إله إلا الله...

وثنّىٰ بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين والأئمة حتى وقف على أبيه، ثم تلا هذه الآية: ﴿**بسم الله الرحمٰن الرحيم. ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**﴾[1].

هكذا كان الحمل وهكذا كانت الولادة حيث لم يكن هناك أي سبيل لوقوعهما بالأسباب الطبيعية فتدخلت القدرة الإلهية لتحسم الموقف لصالح الإرادة الإلهية والمخطط الرباني المرسوم لهذه البشرية.

ثم أطلع الإمام الحسن العسكري خواص شيعته وأتباعه على ولادة الإمام المهدي وأراهم إياه وأمر بذبح بعض الذبائح وتوزيع لحومها على الفقراء بهذه المناسبة مع كامل الحيطة والحذر والأمر بالكتمان حتىٰ أنه صدر الحكم منه عليه السلام بحرمة ذكر اسم المولود لأن الاسم إذا ذكر تحدد الشخص ووجوده ووقع الطلب من قبل الدولة.

أما عامة المسلمين والجهاز الحاكم فلم يعلموا بهذه الولادة حتىٰ تسربت لهم بعض الأخبار وسارعوا بالتفتيش لدار الإمام وشدّدوا الحراسة والرقابة ولكن لم يعثروا على أي دليل يثبت ولادته كيف ولم يظهر الحمل على أمه بعد!

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٢ عن إكمال الدين والآية في سورة القصص: ٥ و٦.

ثم توفي الإمام الحسن مسموماً وانتهىٰ صبر السلطة في مسألة الإمام المهدي واعتبرت أن الحمل لا بد أن يكون قد تشكّل إلا أنه في أشهره الأولى لأن كلام النبي لا يُخطىء فحبست زوجة الإمام مع بقية الخدم لترصد أي مولود جديد يكون الخلف للوصي الحادي عشر الذي لا بدّ منه لإخبار النبي الصادق بذلك.

وبعد مرور ما يقرب من سنة بدأ اليأس والشك يدب في نفوس السلطة معتبرة أن الإمام لم يولد في حين كانت بعض التقارير تصلهم مؤكدةً أنه مولود ويعيش بين الناس بشكل سرّي وله سفير يقوم بمهمة الربط بينه وبين الشيعة فيوصل له رسائلهم وأسئلتهم وبعض الحقوق الشرعية ثم يردّ عليهم أجوبته عليه السلام وتوجيهاته.

وقامت الدولة بعدة عمليات تفتيش مباغتة لبيت الإمام الحسن فلم يعثروا على شيء مع أن هناك بعض شهود العيان الذين رأوا الإمام المهدي وهو صبي عند الصلاة على أبيه قبل الدفن وكذلك بعض الحرس رآه داخل البيت في إحدى عمليات التفتيش وعندما همّوا بالقبض عليه اختفىٰ من أمامهم مما زاد في حيرتهم وقلقهم، إلا أن كل ذلك لم يثبت رسمياً فاعتبرت الدولة أن الإمام لم يولد، ومن هنا نشأ الاعتقاد لدىٰ عامة المسلمين المرتبطين بالدولة وعلمائها أن الإمام المهدي سيولد من أب هاشمي في وقت ظهوره متىٰ كان، في حين هناك العديد منهم ثبتت لديه ولادة الإمام في حياة أبيه الإمام الحسن[1].

استمر الحال كذلك مدّة سبعين عاماً تسمّىٰ الغيبة الصغرىٰ توالىٰ فيها أربعة سفراء للإمام المهدي في إدارة الارتباط بين الشيعة والإمام لتكون هذه الفترة تمهيداً لفترة أطول تسمّىٰ الغيبة الكبرىٰ التي جاوز عمرها الآن الألف سنة، وكان من الضروري مرور الشيعة بهذه المرحلة كي يستطيعوا التحول من مرحلة الإمام الظاهر الذي يمكن رؤيته والحديث معه إلىٰ مرحلة الإمام الغائب، أو بالأحرى ما يشبه مرحلة عدم الإمام حيث تتزايد المسؤولية بغياب

---

(١) راجع كتابنا المعرّب «المهدي المنتظر في نهج البلاغة» حيث وردت فيه لائحة بأسماء أكثر من مائة عالم من علماء المسلمين ممن اعترفوا بولادته في ذلك التاريخ وهو سنة ٢٥٠هـ.

القيادة الربانية وتصعب الأمور وقد أمروا بالرجوع إلى علمائهم ليسدّوا بعض الشيء من ثغرة فقدان القائد والإمام والوصي المسدد من الله عزّ وجلّ.

والسؤال الآن: كيف مُهّد لهذه الغيبة؟ وما هي العلّة في تقدير وقوع الغيبة؟ وكيف بدأت؟ ومتى تنتهي؟ وما هي وظيفة المسلمين والمؤمنين فيها؟

غيبة الإمام المهدي

كما ذكرنا أن للإمام المهدي غيبة طويلة قدرتها الحكمة الإلهية وسبق إليها علم الله الأزلي الشامل لما كان وما هو كائن وما سيكون، فجرىٰ التمهيد لها من خلال النبي والأوصياء عليهم السلام كإخبارات غيبيّة تدعو المؤمنين للاستعداد لتلك المرحلة الصعبة ودرك ضرورتها وموقعها في المخطط الرباني للدين الإلهي على الأرض.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً ليغيبنّ القائم من ولدي (أي: الإمام المهدي) بعهد معهود إليه منّي، حتىٰ يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكّه فيزيله عن ملّتي ويخرجه من ديني، فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل، وإن الله جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خُلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة حتىٰ يضلّ الخلق عن أديانهم فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب فيملأُ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

وعن الوصي الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «...

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٦٨ عن إكمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٧٢ عن إكمال الدين.

المهدي من هذه العترة (أي: من أهل بيت النبي) تكون له حيرة وغيبة يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها أقوام...»[1].

وسئل الوصي الحادي عشر الإمام الحسن العسكري فقيل له: يابن رسول الله، فمن الحجة والإمام بعدك؟

قال: ابني محمد، وهو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقّاتون (أي: الذين يعطون وقتاً معيناً لظهوره) ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة»[2].

علّة الغيبة:

إن غيبة الوصي الثاني عشر من أوصياء النبي محمدﷺ ـ وهو خاتمة الأوصياء لخاتم الأنبياء في الأرض ـ في غاية الأهميّة ولها أسباب وعلل كثيرة تتفاوت درجاتها من حيث الأهمية، وبمجموعها تشكّل الدافع نحو إيجاد هذه المرحلة الخطرة في المخطط الرباني على الأرض.

ومن هذه الأسباب كما وردت عن النبي والأوصياءعليهم السلام:

أولاً: إنقاذ الإمام المهدي من القتل المحتم:

فنحن نعلم أن الحكام العباسيين كانوا عارفين بأن الوصي الثاني عشر ابن الإمام الحسن العسكري سيخرج ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهم أئمة الظلم والجور وخروجه يعني القضاء علىٰ ملكهم وسلطتهم، بالإضافة إلىٰ معاقبتهم على ما ارتكبوه من جرائم وفواحش بحق الناس والإسلام، فمن الطبيعي يتلهفون ويترصدون ولادته كي يقضوا عليه في مهده متعامين عن إرادة الله الغالبة وأمره البالغ وحكمه النافذ في البَريّة.

قال النبيﷺ: «لا بدّ للغلام (أي: الإمام المهدي) من غيبة».

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٣٧ عن إكمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ١٦٠ عن إكمال الدين.

فقيل له: ولمَ يا رسول الله؟

قال: «يخاف القتل»[1].

وعن الوصي السادس الإمام جعفر بن محمد الصادق قال: للغلام غيبة قبل قيامه (أي: ثورته).

قيل: ولِمَ؟

قال: يخاف على نفسه الذبح[2].

وهناك روايات كثيرة بهذا الشأن نكتفي ـ وفق المنهج في هذا الكتاب ـ بذكر نماذج منها.

إن قتل الإمام المهدي كان قراراً متخذاً وأمراً محسوماً من قبل السلطة التي قتلت جميع الأوصياء من قبله أولهم الإمام علي بن أبي طالب وآخرهم والده الإمام الحسن العسكري، ولو تم هذا الأمر وقتل الإمام المهدي لأنتهى كل أمل في تطبيق حكم الله في الأرض، ولا نقطع الارتباط بين الله والبشرية الذي كان ولا يزال متمثلاً بالأنبياء أو أوصياء الأنبياء المعينين من قبل الله سفراء له في الأرض، وهذا مما لا يكون فالأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه إذاً لساخت بأهلها، فما نفع أرض عليها أُناس يقتلون ويظلمون ويعصون الله ليلاً نهاراً خارجين عن طاعته وعبادته وهو القادر على فنائهم لولا أن فيهم حجة له ينتظر الفرصة لتطبيق حكمه في الأرض وهداية الناس أجمعين نحو الحق والكمال وطاعة الله وعبادته ولذلك خلقهم.

ثانياً: عدم البيعة للسلطات:

كانت الحالة السياسية في صدر الإسلام وإلى أمد بعيد تقضي بقيام المسلمين بأداءِ مراسم البيعة للخليفة والسلطان الذي يأخذ بزمام الدولة الإسلامية، وعلى الرغم من عدم شرعية أكثر الذين حكموا بعد رسول الله ﷺ فإن الأوصياء كانوا إذا أعطوا البيعة للسلطات وإن كان كرهاً فإنهم

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٩٠ عن علل الشرائع.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٧ عن إكمال الدين.

يفون ببيعتهم لأن المؤمن لا يخلف عهده ولا يخون ولا ينكث حتىٰ مع الكافر والظالم والفاسق، والأئمة هم مثال كل خلق حميد بل شعاره.

ولهذا لم يخرج الإمام الحسين ـ الوصي الثالث ـ على السلطان يزيد إلا وهو في أول عهده حيث رفض البيعة له منذ البداية ولو كان قد بايع لم يكن ليخرج عليه فاتجه نحو قوم أرادوا مؤازرته على الرفض ثم تخلّوا عنه فعرض أن يخرج من بلاد المسلمين إلىٰ بلاد لا يُلزم فيها بالبيعة ليزيد لأنه شارب للخمر فاسق ومثل الحسين لا يبايع مثله.

ومن هنا كانت إحدى علل الغيبة أن لا يضطر الإمام المهدي لمبايعة السلطان الذي يريد أن يخرج في زمانه فيضطر للوفاء بعهده وبيعته.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «صاحب هذا الأمر تعمىٰ ولادته على الخلق لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج»[1].

وعن الإمام المهدي نفسه عندما أجاب على سؤال أحد شيعته في غيبته الصغرى عن طريق سفيره محمد بن عثمان قال: «إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي»[2].

ثالثاً: التشبه بالأنبياء السابقين:

إن الإمام المهدي عليه السلام هو وارث الأنبياء والأوصياء وهو خاتمهم وبقيّة الله في الأرض، وهو الحامل لرسالتهم ومحطّ آمالهم في تحقيق حكم الله في الأرض فلا عجب إن كان هناك تشابه بين أمره وحياته وأمرهم وحياتهم بل لعل الحكمة الإلهية تقتضي ذلك لمصالح معيّنة.

روىٰ سدير الصيرفي عن الصادق عليه السلام قال: «إن للقائم عليه السلام منّا غيبة يطول أمدها.

فقلت له: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٩٥ عن إكمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٢ عن الاحتجاج: ٢٦٣، وإكمال الدين ٢: ١٦٢.

قال: إن الله عزّ وجلّ أبىٰ إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء في غيباتهم، وأنه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لتركبنّ طبقاً عن طبق﴾[1] أي سناً علىٰ سنن من كان قبلكم»[2].

وعن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كل مبطل».

فقلت له: ولم جعلت فداك؟

قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم.

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالىٰ ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسىٰ إلا وقت افتراقهما.

يا ابن الفضل إن هذا الأمر أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عزّ وجلّ حكيم صدّقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا»[3].

رابعاً: استخراج ودائع الله من أصلاب الكافرين:

وهذا من الأسرار التي لا يمكن معرفتها إلا بالإخبار من قبل الأوصياء عن النبي عن الله عزّ وجلّ، وذلك أن علم الله سبق بوجود مؤمنين في أصلاب بعض الكافرين ضمن الأجيال البشرية فلو ظهر الأمر في فترة متقدمة لتم قتل هؤلاء الكافرين وذهاب تلك الودائع فكان أحد أسباب الغيبة هو خروج كل هذه الودائع التي لا نعلم عددها وأماكن تواجدها، ثم إذا خلت تلك الأصلاب منهم ظهر الإمام المهدي، ولا شك أن هذا سبب غير مستقل للغيبة بل هو أحد الأسباب والعلل.

---

(١) سورة الإنشقاق: الآية ١٩.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٠ عن إكمال الدين وعلل الشرائع.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٩١ عن إكمال الدين وعلل الشرائع.

قيل للإمام الصادق: ما بال أمير المؤمنين لم يقاتل مخالفيه في الأوّل؟ قال: لآية في كتاب الله عزّ وجلّ: **﴿لو تزيلوا لعذّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾**[1].

قيل: وما يعني بتزايلهم؟

قال: ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكذلك القائم لن يظهر أبداً حتىٰ تخرج ودائع الله عزّ وجلّ فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزّ وجلّ فقتلهم[2].

خامساً: التمحيص والغربلة:

إن من دواعي غيبة الإمام المهدي عليه السلام هو تمحيص الناس عامة والمسلمين والمؤمنين خاصة وامتحانهم، وفرزهم، ليظهر من كل نفس جوهرها، ويتضح مرادها، فإما مع الحق أو مع الباطل، ليحسم أمر الناس عند ظهور الإمام فالأمر لا يحتمل حينها التأخير والتردد، ولا محلّ للطرف الثالث من الناس الذي لا هو إلىٰ الحق ولا إلىٰ الباطل وكأنه شريحة اجتماعية زائدة في الواقع البشري مما يربك عملية التطهير الشامل وبعدها عملية التغيير الجذري أيضاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «والله لتكسرن كسر الزجاج وإن الزجاج يعاد فيعود كما كان، والله لتكسرن كسر الفخار وإن الفخار لا يعود كما كان، والله لتمحصنّ والله لتغربلنّ كما يغربل الزؤان[3] من القمح»[4].

وعنه أيضاً قال: «... إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس، لا والله حتىٰ تميّزوا، لا والله حتىٰ تمحّصوا، لا والله حتىٰ يشقىٰ من يشقىٰ ويسعد من يسعد»[5].

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٥.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٧ عن إكمال الدين وعلل الشرائع ١: ١٤١.

(٣) الزؤان: حبوب تخالط القمح.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١٠١ عن غيبة الطوسي.

(٥) بحار الأنوار ٥٢: ١١١ عن إكمال الدين.

أي ينفرز الأشقياء وينفصلون عن السعداء فتكون معركة فاصلة لا يبقىٰ فيها إلا السعداء ليكونوا شعب دولة الله بقيادة ولي الله وبقيّته في الأرض.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «... أيهات أيهات لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ تميزوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم إلا بعد إياس، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتىٰ يشقىٰ من شقي ويسعد من سعد»[1].

وعن الإمام علي قال: «... وليغيبنّ عنهم تمييزاً لأهل الضلالة حتىٰ يقول الجاهل: ما لله في آل محمد من حاجة»[2].

وعن الإمام موسى بن جعفر: «... إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتىٰ يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله امتحن الله بها خلقه»[3].

وعن الإمام الباقر: «هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتىٰ تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا حتىٰ يذهب الكدر ويبقىٰ الصفو»[4].

سادساً: تهيئة الظروف العامة:

لا شك أن كل عمل اجتماعي مهما صغر أو كبر يحتاج إلىٰ تهيئة الظروف بما يناسبه فكيف إذا كان الأمر هو ثورة اجتماعية عالمية على الصعيد العقائدي والسياسي والأخلاقي والاقتصادي، وبعبارة أخرىٰ ثورة حضارية لم يسبق لها مثيل علىٰ مدىٰ التاريخ!

إن ظهور الإمام المهدي وقيامه بعملية التطهير ثم التغيير يحتاج إلىٰ توفر الاستعداد لدىٰ المسلمين ولدىٰ الشعوب كافة، ويمكن تصور هذا الاستعداد بالنقاط التالية:

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١١٢ عن غيبة الطوسي.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ١١٢ عن غيبة النعماني.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١١٣ عن غيبة الطوسي.
(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١١٣ عن غيبة الطوسي.

١ ـ نمو الوعي الديني والإسلامي لدى الأمة الإسلامية ولو في طبقات منها بما يجعل قدوم الإمام المهدي أمراً طبيعياً يلاقي فيه كل الترحيب، بل سيكون هناك شريحة من الأمّة في أشد الرغبة والاستعداد لتنفيذ أحكام الله وتطبيق الدين الإلهي على الأرض.

٢ ـ في المقابل يكون هناك انحراف عام عن الإسلام في المجتمع الإسلامي يجعل المؤمنين في غاية الشوق لإجراء عملية التغيير والاصلاح الاجتماعي، ويوجب قيام هذه الثورة.

٣ ـ انتشار الفساد والظلم في العالم وضياع الحقوق والتسلّط والإرهاب وتدمير شعوب كاملة وذلك نتيجة الابتعاد عن الدين الإلهي والشريعة السماوية واتباع الأهواء والشهوات والأديان الأرضية التي وضعها الإنسان الناقص لنفسه، ولعل أكبر مأساة ستراها البشرية هي الحرب العالمية الثالثة التي يتوقع أن تكون نووية مدمّرة تكون بمثابة انتحار للبشرية يتجلىٰ فيها أضرار الإنحراف عن الدين الإلهي الذي يربي الإنسان والمجتمع على الخلق والصلاح والعدل وعدم التعدي على حقوق الآخرين بل يزكي الروح ليعيش الإنسان السعادة في نفسه وفي أسرته ومجتمعه.

ومن هنا ستشعر البشرية بالحاجة الماسة إلى إنقاذ ومنقذ، وتغيير عام يعالج كل مآسيها ويضمن لها الحياة الكريمة بعد أن جرّبت أنواع المبادىء والتيارات فيأتي ظهور الإمام المهدي وقيامه بالثورة مع كل ما سيطرحه من برنامج إلهي عقب مأساة الحرب العالمية الثالثة أملاً جديداً ينبعث في نفوس الناس والشعوب كافة.

يقول الإمام الباقر: «دولتنا آخر الدول، ولن يبقىٰ أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأو سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾[1].

٤ ـ تحتاج دولة الإمام المهدي العالمية إلىٰ تقدم تكنولوجي يبسط نفوذ الدولة وحكومتها وأجهزتها على أرجاء المعمورة[2].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٧، بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٢.

(٢) راجع كتابنا «دولة المهدي» ففيه بعض الإشارات والروايات في ذلك.

فهي بحاجة إلىٰ سرعة الانتقال وإلى أجهزة الاتصال المتطورة التي تسمح للإمام أن يخطب في بلدة ويسمعه أهل الأرض جميعاً ويرونه وهو في مكانه، وكذلك إلىٰ توفر وسائل النقل والارتباط السريع ليتنقل الإمام وأصحابه ومعاونيه ويرتبطون بأرجاء الأرض كافة لإدارة شؤون هذه الدولة العالمية.

يقول الإمام الصادق: «إذا تناهت الأمور إلىٰ صاحب هذا الأمر (أي: الإمام المهدي) رفع الله تبارك وتعالىٰ له كل منخفض من الأرض وخفّض له كلّ مرتفع حتىٰ تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها»[1].

وهذه العملية يمكن أن تكون بالإعجاز وبقدرة الله عزّ وجلّ المطلقة إلا أن الإعجاز لا يتدخل في الحياة إلا إذا توقف عليه إنجاح المخطط الرباني في التاريخ البشري، أو حدثت ضرورات معينة، أما الأساس في الحياة هو الأمور الطبيعية وفق الأسباب المتعارفة ولذا يمكن فهم هذا النص على أنه إشارة غيبية نطق بها الأوصياء قبل أكثر من ألف عام تدل على تقدم نظام الاتصالات السلكية واللاسلكية المسموعة والمرئية والأقمار الصناعية وغير ذلك من التقدم التكنولوجي.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كأني بالقائم على نجف الكوفة... يركب فرساً أدهم بين عينيه شمراخ (أي: مدبب) فينتفض به انتفاضة لا يبقىٰ أهل بلاد إلا وهم يرون أنه معهم في بلادهم...»[2].

أليست هي الطائرة أو ما يشبهها؟!

ويقول الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «إن قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتىٰ لا يكون بينهم وبين القائم بريد (أي: نقل رسائل) يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»[3].

يبدو أنه التلفزيون أو ما يشبهه من أجهزة اتصال مرئية.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٨ عن كامل الزيارات.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٨ عن إكمال الدين.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٦ عن الخرائج.

هذا بالإضافة إلىٰ أن التقدم التكنولوجي سيكمل التقدم الروحي والعقائدي والتشريعي الذي ستوفره دولة الإمام لبناء سعادة الإنسان والمجتمع الإنساني في أجمل فترات التاريخ البشري في دولة الله وملكوته في الأرض، وأيضاً يسهّل الحياة بما يفسح المجال أمام الإنسان لطلب العلم والسير في طريق الكمال الإنساني الحضاري.

سابعاً: تهيّؤ الأنصار:

وهو من أسباب الغيبة للإمام المهدي الكثيرة حيث يجب توفر وتهيّؤ الأنصار الذين ينصرونه في ثورته العالمية[1].

وهؤلاء الأنصار يجب أن يكونوا بمستوىٰ هذه الثورة الشاملة وبمستوىٰ العملية التغييريّة التي سيقوم بها الإمام على الصعيد البشري العام، ولذا كانت لهم مواصفات قل أن تجتمع في أحد، مما استدعىٰ مرور الزمان وارتفاع مستوىٰ الإيمان والوعي العقائدي والسلوكي لدىٰ المؤمنين بما ينتج (٣١٣) من خاصة الأنصار إضافة إلىٰ الآلاف الآخرين من خالص المؤمنين، وهذا العدد وهذه المواصفات لم تكن متوفرة في زمان ولادة الإمام المهدي وبالتالي لم يكن له أنصار يخرجون معه في ثورته.

يقول الوصي التاسع الإمام الجواد: «فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص (أي: أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً) أظهر أمره، فإذا أكمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزّ وجلّ فلا يزال يقتل أعداء الله حتىٰ يرضىٰ الله عزّ وجلّ»[2].

إنهم مجموعتان، الأولى محددة بالعدد (٣١٣) وهم خاصة المؤمنين والأنصار ويشكلون الكادر القيادي للإمام الذي يتولّىٰ حكم الولايات في العالم بعد استقرار دولة الإمام المهدي.

والمجموعة الثانية تشكل عامة الأنصار الذين يخرج الإمام ويبدأ الزحف بتوفرهم واجتماعهم حوله في حين أن المجموعة الأولى إذا تهيّأت

---

(١) راجع كتابنا «دولة المهدي» ص٧٥ وما بعدها.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٣ عن إكمال الدين.

يُظهر الإمام أمره ويعلنه إلا أنه لا يتحرك حتىٰ تجتمع المجموعة الثانية[1]، وعددها هنا لا يشترط فيه الدقة الرقمية بل هو يشير إلىٰ الكثرة أو أنه أقل عدد يجيز للإمام الخروج والتحرك للقتال.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما يخرج إلا في أولي قوّة، وما يكون أولوا القوة أقل من عشرة آلاف»[2].

هذه هي أهم العلل مما ذكرته الروايات وذهب إليه الاحتمال والتحليل ولعل هناك ما خفي من أسرار وحكم إلهية لم يُخبر عنها ولم تدركها عقولنا وهو من أمر الله وما أوتينا من العلم إلا قليلاً.

طبيعة الغيبة:

تنقسم غيبة الإمام المهدي ـ كما ذكرنا ـ إلىٰ غيبتين الأولىٰ قصيرة تسمىٰ «الغيبة الصغرى» وقد دامت في حدود السبعين عاماً، والثانية طويلة تسمىٰ «الغيبة الكبرىٰ» وهي مستمرة إلىٰ الآن منذ أكثر من ألف عام ولا نهاية محددة لها.

سئل الإمام الباقر عليه السلام: هل لهذا الأمر وقت؟

فقال: «كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون»[3].

وسأل مهزم الأسدي الإمام الصادق عليه السلام فقال: أخبرني جعلت فداك، متىٰ هذا الأمر الذي تنتظرونه فقد طال؟!

فقال: «يا مهزم كذب الوقاتون وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون وإلينا يصيرون»[4].

لقد اختص الله عزّ وجلّ بعلم يوم الظهور وتاريخه لما له من أهمية بالغة في التاريخ البَشَري ولم يطلع عليه أحداً حتىٰ أن الإمام المهدي لا يعلم

---

(١) هناك تفاصيل كثيرة في الموضوع اقرأها في «دولة المهدي».

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٢٣ عن إكمال الدين.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٠٣ عن غيبة الطوسي.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١٠٣ عن غيبة الطوسي.

بذلك على نحو الدقة بل ينتظر الأمر من الله بالتحرك.

ولا شك أن كتمان الله عزّ وجلّ لوقت الظهور فيه علل وحكم منها عدم حصول اليأس لدىٰ الناس لو علموا بطول المدّة فيبقى الأمل حياً في نفوسهم.

قال رسول الله ﷺ: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عزّ وجلّ»[1]. وقال الوصي الرابع علي بن الحسين عليه السلام لأبي خالد الكابلي: «تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله والأئمة بعده.

يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلون بإمامته المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالىٰ ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً والدعاة إلىٰ دين الله سرّاً وجهراً»[2].

هذا بالإضافة إلى تحقق الامتحان والتمحيص والغربلة للناس بهذا الإخفاء ليوم الظهور، وأيضاً يساعد على مباغتة العدو فلو علم الوقت لاستعد وتصدىٰ للإمام في أول أمره.

أما كيف يعيش الإمام المهدي في عصر الغيبة، وأين، ومن معه، وهل يمكن رؤيته، وما فائدة وجوده فيها؟

هذه أسئلة ينبغي الإجابة عليها فنقول:

إن غيبة الإمام المهدي لا تعني اختفاءه من الحياة ودخوله عالم الغيب كما يحدث للأموات أو لغير الإنس من المخلوقات بل هو يعيش مع الناس يعرفهم ولا يعرفونه ويتنقل بين المدن ويمارس أعماله الإسلامية من عبادات وشؤون تختص به وبإمامته إلا أنه لا يُعرف بصفته كإمام ويراعي ذلك بدقة وإن دعت الضرورة تدخلت القدرة الإلهية في إخفائه عن الأنظار.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٢ عن عيون أخبار الرضا.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٢ عن الاحتجاج.

قال أحد سفرائه الأربعة في عصر الغيبة الصغرى محمد بن عثمان الحميري: والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم (أي: الحج) كل سنة فيرىٰ الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن في صاحب هذا الأمر لشبه من يوسف... فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف، أن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتىٰ يأذن الله له أن يعرّفهم نفسه كما أذن ليوسف حتىٰ قال له إخوته: إنك أنت ليوسف؟! قال: أنا يوسف»[٢].

والإمام عليه السلام سوف لا يكون وحده في غربة تامة بل هناك من يؤنسه ويخدمه ويرفع وحشته.

يقول الوصي الثامن الإمام الرضا عليه السلام: «إن الخضر شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتىٰ ينفخ في الصور... وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتىٰ يقول بعضهم: مات، ويقول بعضهم: ذهب، حتىٰ لا يبقىٰ على أمره من أصحابه إلا نفر يسير، لا يطّلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره إلا المولىٰ الذي يلي أمره»[٤].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا بد لصاحب هذا الأمر من عزلة ولا بدّ في عزلته من قوّة، وما بثلاثين من وحشة...»[٥].

فيظهر من هذه الرواية أن هناك دائماً ثلاثين من الأصحاب الخلّص الذين يعيشون مع الإمام يقضون حوائجه وترتفع بوجودهم وحشته.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٥٢ عن إكمال الدين.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٥٤ عن غيبة النعماني.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٥٢ عن إكمال الدين.
(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١٥٣ عن غيبة الطوسي.
(٥) بحار الأنوار ٥٢: ١٥٣ عن غيبة الطوسي.

أما بقية الناس فلا يستطيعون رؤيته على نحو المعرفة أو الحديث معه إلا في حالات خاصة يبادر فيها هو بإذن من الله عزّ وجلّ بالظهور كما حدث لبعض حجاج بيت الله الحرام عندما تاهوا في الصحراء واستغاثوا بالله والإمام المهدي فخرج إليهم وأنقذهم بما لديه من قدرة على المعاجز بإذن الله عزّ وجلّ فوجدوا أنفسهم في مقصدهم!

وكذلك ظهر لبعض العلماء الأجلاء[1] لضرورات دينية أو ألطاف إلهية تشملهم إلا أن ذلك قليل نادر لأن الأصل في عصر الغيبة عدم رؤية الإمام وليس العكس فلا يُخالف الأصل إلا لضرورة.

أما ما شاع من أعمال تؤدّىٰ لأجل رؤية الإمام فكثير منها تجارب وتوقعات وليست هي روايات ـ كزيارة مسجد السهلة أربعين ليلة أربعاء والدعاء لرؤية الإمام ـ وبالتالي لا إلزام في صدقها أو بلوغ المرام بها إلا أن يشاء الله عزّ وجلّ.

بقي السؤال عن علة بقاء الإمام المهدي كل هذه المدّة حيّاً بين الناس من دون أن يمارس مهامه كإمام ظاهر للناس، فما فائدة وجوده إذاً؟ ولماذا جعل الله ولادته في ذلك التاريخ ليبقىٰ كل هذه المدة؟ ولماذا لم يُمته ثم يحيه بقدرته في وقت ظهوره أو يرفعه إلىٰ السماء كما رفع عيسىٰ عليه السلام؟

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لم تخلو الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلىٰ أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله.

قال الراوي: فقلت للصادق: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[2].

إذاً لا يمكن أن تبقىٰ الأرض بغير حجة لله نبياً كان أو وصي نبي فلما ارتفع عيسىٰ عليه السلام إلى السماء ترك أوصياءً له في الأرض ولو خليت

---

(١) راجع كتابنا المعرّب «لقاءات مع صاحب الزمان».

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٢ عن الاحتجاج.

الأرض من الحجة لقلبت بأهلها كما سيحدث ذلك قبيل يوم القيامة حيث ستخلو الأرض من الحجة مدّة أربعين يوماً فتقوم القيامة حينئذ على أهلها.

أما انتفاع الناس بالحجة الغائب ـ بالإضافة إلى حفظ الأرض من الدمار ـ فهو كانتفاعهم بالشمس إذا سترها السحاب فالشمس وجودها مستمر بالعطاء والتأثير من الإضاءة والحرارة رغم خفاء ظاهرها بالغيوم، وكذلك الإمام وجوده خير وبركة وصلاح للناس وهو يتابع أحوالهم وأحوال المؤمنين ويدعو لهم ويستغفر ويوجههم ويتدخل في صلاحهم ودفع المفاسد عنهم من دون علمهم بذلك ولولاه لاصطلمتهم البلية وأهلكهم الأعداء كما حدث في موضوع غزو المغول للعراق وظهور الإمام للشيخ نصير الدين الطوسي وأمره إياه بعدم المقاومة لأن في ذلك هلاك المؤمنين من دون فائدة فهو يعلم عن الله عزّ وجلّ أن الغزو هذا سيصل إلى أهدافه.

وغير ذلك من الألطاف والفوائد التي لا تعد ولا تحصىٰ لوجود الإمام الغائب عن الأنظار في الأرض.

سئل رسول الله ﷺ: هل ينتفع الشيعة بالقائم في غيبته؟

فقال: إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب»[1].

وقال الإمام المهدي عليه السلام بنفسه عن ذلك في رسالة بعثها إلى سفيره في الغيبة الصغرى وقبيل الغيبة الكبرى: «وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها من الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء...»[2].

أما طول العمر للإمام[3] بما هو خارج عن المتعارف فلا عجب فيه وقد نص القرآن الكريم على حياة الخضر عليه السلام آلاف السنين، وكذلك حال عيسىٰ عليه السلام في السماء، وهناك الكثير من المعمرين في التاريخ،

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٩٣ عن إكمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٩٢ عن الاحتجاج.

(٣) راجع كتابنا المعرّب «عمر المهدي بين العلم والأديان».

وعدم استحالة ذلك طبيّاً وعلمياً ويكفي أن أمر الله عزّ وجلّ ومخططه للتاريخ البشري متوقف على طول عمر الإمام والله بالغ أمره.

هذا ما يتعلّق بأمر الغيبة وشؤونها بشكل عام ويأتي الحديث الآن عن نهايتها وظهور الإمام.

ظهور المهدي

بعد أن تتوفر شروط الظهور المبارك للإمام المهدي وتتحقق أهداف الغيبة الكبرىٰ له كما قدر الله عزّ وجلّ وقضىٰ يبدأ فجر الإيمان الصادق بالبزوغ في أفق البشرية معلناً حلول نهار الإسلام والدين الإلهي القويم على الأرض ونهاية ليل الظلم والفساد والانحراف إلى غير رجعة فتشرق الأرض بنور ربها وتتحقق أهداف الله عزّ وجلّ في إيجاد الكون والحياة[1] لأن الله عزّ وجلّ إنما خلق الخليقة لأجل أن يُعرف ويعبد وقد قال في القرآن الكريم: ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون**﴾[2].

وهذه العبادة تشمل عبادة الفرد وعبادة المجتمع وبتحققها علىٰ المستوى البشري كافة يتحقق هدف الله من إيجاد الخليقة وهو ما لا يمكن أن يتخلّف لأن إرادة الباري عزّ وجلّ لا يمكن أن تُقهر أو تغلب ولذا جرى القضاء والحتم بأن يأتي عهد على الحياة البشرية ينتصر فيه دين الله في الأرض ويصل الأنبياء والرسل إلى الهدف من بعثتهم فلقد: ﴿**كتب الله لاغلبن أنا ورسلي**﴾[3] ولو في آخر الحياة البشرية على الأرض.

قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منّا (أي:

---

(١) راجع «دولة المهدي».

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٣.

الإمام المهدي) وذلك حين يأذن الله عزّ وجلّ له...»[1].

وقال أيضاً: «المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق نبيّاً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسىٰ بن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[2].

إنه حتم من حتم الله وقضاء مبرم من قضائه والله بالغ أمره حتى لو كان في آخر يوم من الحياة، وهذه صفة القاهر القادر فكيف بالحكيم الخبير مسبب الأسباب السميع العليم.

أهداف ظهور الإمام المهدي:

إن أهداف ظهور الإمام المهدي في آخر الزمان كثيرة وكبيرة تتناسب مع حجم العملية التي جرى الإعداد لها منذ آلاف السنين عن طريق الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم، فمرحلة الظهور هي أهم حلقة من حلقات التاريخ البشري يكون فيها التغيير الجوهري الشامل وعلى الصعيد العالمي.

ومن هذه الأهداف:

أولاً: الانتقام من الظالمين:

فالانتقام هو جانب من العدالة والحق، وهو في البعد الإلهي قسم عاجل من جزاء الأعمال فيُقتص من الظالم في الدنيا قبل يوم القيامة حيث يحاسب حساباً عسيراً جزاء ما ارتكب من أعمال وجرائم.

هذا بالإضافة إلىٰ أن أحكام الحدود والقصاص لها جانب ردعي فوري يحذر الناس من ارتكاب الذنوب والمظالم لتستقيم الحياة الإنسانية في ظل النظام الإسلامي العادل.

وما أكثر الظالمين على مرّ التاريخ وما أكثر الجرائم التي ارتكبت بحق الناس عموماً وبحق الأنبياء والأوصياء والأولياء خصوصاً، ولكن الإمام

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٦٥ عن عيون أخبار الرضا.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٧١ عن إكمال الدين.

المهدي ـ عجل الله فرجه ـ سوف لا ينتقم لكل ظلم وذنب مهما صغر وإلا سيشمل الأغلب والأكثر من الناس: **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾**[1].

إلا أن المظالم العامة سوف لا تفلت من دون عقاب وعلى الأخص أئمة الضلال وأركان الظلم والعناصر المؤثرة في الفساد على الأرض.

قال النبي ﷺ: «... فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم...»[2].

وقال الوصي التاسع الإمام الجواد عليه السلام: «... خرج بإذن الله فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله تبارك وتعالى.

قيل له: يا سيدي وكيف يعلم أن الله قد رضي؟

قال: يلقي في قلبه الرحمة»[3].

إن غضبه من غضب الله عزّ وجلّ فيأذن له بالانتقام وينزع من قلبه الرحمة أمام الظالمين الجاحدين الذين ما تركوا حرمة لله إلا انتهكوها ولا مظلمة إلا فعلوها، فيقتل فيهم بكل غضب رباني حتى يرضى الله عزّ وجلّ وحينها يلقي في قلبه الرحمة فيعلم أن الله قد رضي بهذا الانتقام.

قال الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه: أو ما علمت أن للحق دولة وللباطل دولة، وكلاهما ذليل في دولة صاحبه فمن أصابته دولة الباطل اقتصّ منه في دولة الحق»[4].

وقال أيضاً: «... إنه يخرج موتوراً غضبان أسفاً لغضب الله على هذا الخلق... يجرّد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هرجاً...»[5].

ولا شك أن السيف رمز للسلاح ولا يمنع عن استعمال أي سلاح آخر

---

(١) سورة النحل: الآية ٦١.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣١١ عن عيون أخبار الرضا.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ١٥٧ عن الكفاية.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ٣٦٥ عن غيبة النعماني.

(٥) بحار الأنوار ٥٢: ٣٦١ عن غيبة النعماني.

متطور جائز الاستعمال[1].

وعن النبيﷺ: «... فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله...»[2].

أما سفير الإمام المهدي في عصر الغيبة الصغرى محمد بن عثمان فقد قال عنه: ورأيته صلوات الله عليه متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم بي من أعدائك»[3].

ثانياً: تطهير الأرض من الفساد:

أنّ الأرض منذ أن وجد الإنسان عليها بدأ فيها الفساد واستمر بازدياد على مرّ التاريخ.

والفساد لا يقصد به المسائل الأخلاقية فقط بل يشمل كل انحراف في السلوك الفردي والاجتماعي بما يؤدي إلى حدوث الخلل في الحياة فردياً واجتماعياً، وهذا ما حصل على درجات ومستويات متفاوتة من مجتمع إلى آخر ومن زمان إلى زمان.

والحقيقة أن الكون والوجود وجميع ما خلق الله عزّ وجلّ سائر وفق النظام الإلهي الدقيق إلا الإنسان فقد منحه الله عزّ وجلّ الاختيار في السلوك وهداه النجدين إما شاكراً وإما كفوراً فانحرف بعضهم واستقام آخرون، وأول من بدأ الفساد في الأرض هو قابيل ابن نبي الله آدم عليه السلام أبو البشر حيث قتل أخاه هابيل المؤمن والصالح، ثم استمر الفساد والانحراف عن الفطرة الإلهية السليمة حتىٰ وصل إلىٰ درجات عالية في زمان ظهور الإسلام فقال الله عزّ وجلّ في قرآنه الكريم: **﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾**[4].

وبهذا فإن من أهداف ظهور الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ المهمة

---

(١) راجع كتابنا «دولة المهدي» ص١١٢.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣١١ عن عيون أخبار الرضا.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٣٥١ عن غيبة الطوسي.

(٤) سورة الروم: الآية ٤١.

هو تطهير الأرض من الفساد وخصوصاً منابعه وأئمته لتتمهد الأرضية البشرية وتتهيّأ للعملية التربوية الشاملة التي سيقوم بها الإمام المهدي، وهذا التطهير سيأخذ أبعاداً مختلفة من حيث الوضع الفردي والاجتماعي سلوكاً وأنظمة وسيتدرج حتىٰ يُمحق كل فساد ويُستبدل بالصلاح والعدل والقسط.

قال رسول الله ﷺ عن الإمام المهدي: «هو رجل منّي اسمه كاسمي يحفظني الله فيه، ويعمل بسنتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً بعدما تمتلىء ظلماً وجوراً وسوءاً»(١).

وقال أيضاً: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يُخرج رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»(٢).

ثالثاً: تطبيق حكم الله في الأرض:

حكم الله هو شريعة الله للفرد وللمجتمع، وهي ما جاء به الأنبياء والمرسلون عبر التاريخ لهداية الإنسان نحو ما فيه صلاحه في نفسه وفي قومه وبني جنسه، ولا شك في أن ما يأتي من الله عزّ وجلّ هو الصلاح والكمال بعينه لأنه هو الحكيم الخبير خالق الإنسان والعارف بتركيبه وما يحتاج إليه وما يصلحه وما يفسده، وحتى العبادات التي جاءت بها الشرائع السماوية هي في الحقيقة لصالح الإنسان نفسه فإن الله عزّ وجلّ غني عن العالمين وليس هي إلا لطف ورحمة ومحبة منه لعباده: **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم﴾**(٣).

إن الإمام المهدي سيفرض حكم الله في الأرض كلّها فيتبع الناس شريعة الله طوعاً أو كرهاً فلا مجال للاختيار لأن يوم القيامة قد قرب والحياة الإنسانيّة على أبواب الانتهاء ولا بد من تحقق هدف الله من إيجاد الخليقة قال الله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**(٤).

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٢٩ عن علل الشرائع.
(٢) بحار الأنوار ٥١: ٧٤ عن غيبة الطوسي.
(٣) سورة النساء: الآية ٦٦.
(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

وقال أيضاً: **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**[1].

وقال: **﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾**[2].

ولما عرج رسول الله ﷺ إلىٰ السماء وأخبره الله بأسماء أوصيائه قال له: «يا محمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنّ له الرياح، ولأذللنّ له السحاب الصعاب (لعله إشارة إلى استعمال وسائل النقل الجوي)، ولأرقينّه في الأسباب (لعلّه التقدم في كافة المجالات أو الصعود في السماء)، ولأنصرنّه بجندي (ومن جند الله الخفي الرعب)، ولأمدّنّه بملائكتي، حتى يعلن دعوتي، ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأُديمنّ ملكه، ولأدوالنّ الأيام بين أوليائي إلىٰ يوم القيامة»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن القائم عجل الله فرجه قال: «هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإماء، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون ثم يظهره الله عزّ وجلّ فيفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسىٰ بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها ولا تبقىٰ في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزّ وجلّ إلا عبد الله فيها ويكون الدين كلّه لله ولو كره المشركون»[4].

إن الإمام المهدي سوف لا يكون قائداً ربانياً خارجاً عن خط الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بل هو وارثهم والمكمل لمسيرتهم ورسالتهم.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «إذا ظهر القائم ظهر براية رسول الله ﷺ وخاتم سليمان وحجر موسىٰ وعصاه...»[5].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٢١.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٣١٢ عن علل الشرائع وعيون أخبار الرضا.

(٤) بحار الأنوار ٥١: ١٤٦ عن إكمال الدين.

(٥) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥١ عن غيبة النعماني.

وعن النبيﷺ قال: «المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم يأتي بذخيرة الأنبياء فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[1].

وذخيرة الأنبياء هي كل تعاليمهم ومبادئهم ومناهجهم وشرائعهم لأنها والإسلام من منبع واحد وهو الله عزّ وجلّ، أما ما نرى من اختلاف بين الأديان السماوية حالياً فهو في الحقيقة يعود إلىٰ سببين، الأول هو أن الأديان مرّت بمراحل تطور من حيث السعة والتفصيل تتناسب مع التطور البشري خلال التاريخ حتىٰ اكتملت بمجيء خاتم الأنبياء والرسل محمدﷺ وبعد تعيين الوصي الأول في يوم الغدير نزل قوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[2].

فالصَّوم والصلاة كانتا بشكل أولي في الشرائع السابقة للإسلام ثم اكتملتا وأخذتا شكلهما النهائي في الإسلام على ما نراه اليوم.

والسبب الثاني لهذه الاختلافات هو التحريف المتعمد وغير المتعمد نتيجة البعد الزمني لمجيء هذه الأديان، وإلا فالدين الإلهي واحد عبر التاريخ وكلّه إسلام إلا أن الأديان السابقة سمّيت بأسماء أنبيائها حتى جاء النبي محمد بالدين الإلهي الكامل وباسمه الواضح وهو الإسلام.

أما موقف الإمام المهدي من أتباع هذه الديانات فهو عرض الإسلام عليهم ويساعده في ذلك السيد المسيح الذي رفعه الله إلى السماء وسينزل في زمان ظهور الإمام المهدي ليعينه على هداية المسيحيين - وغيرهم - وكشف حقيقة التحريف الذي تعرضت له المسيحية عبر التاريخ وأنه دين مُلغىً بمجيء الدين الإسلامي ثم يأتي بهم ويصلّي خلف الإمام المهدي بصلاة الإسلام[3].

وبعد نزول المسيح وكشفه كل الحقائق سوف لا يبقىٰ أي عذر لمعاند فكل الأحرار وأتباع الحقيقة سوف يسلمون مستجيبين لدعوة الإمام المهدي

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٧٢ عن إكمال الدين.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤ .

(٣) راجع «دولة المهدي» ص١٤٠.

بمؤازرة السيد المسيح، أما المعاندون ومن له الأغراض السيئة في البقاء على دينه المحرّف فإنه سيكون حجر عثرة أمام عمل الإمام المهدي في التغيير العالمي نحو الصلاح، وبالتالي ليس له إلا القتل تطهيراً للأرض من الجاحدين والملوّثين كما أشرنا.

قال ابن بكير: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالىٰ: **﴿وله أسلم من في السمٰوات والأرض طوعاً وكرهاً﴾**.

قال: أنزلت في القائم إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردّة والكفّار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة، وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتىٰ لا يبقىٰ في المشارق والمغارب أحد إلا وحّد الله»[1].

هذا وستشمل حركة الإمام التصحيحيّة المسلمين أنفسهم حيث حدثت حركات انحرافية في التاريخ الإسلامي ونشأت نظريات غير سليمة وتركت فروض وأبدعت أمور مع أن الإسلام الحقيقي لم يغب عن الساحة كلياً بل هناك فرقة من الفرق الإسلامية ناجية والأمة لا تجتمع على ضلال كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله.

وعلى أي حال سيكون لظهور الإمام الدور الأساس في إعادة الإسلام للحياة بروح جديدة وبكل تفاصيله الدقيقة.

قال الإمام الصادق عليه السلام عن سيرة المهدي: «يصنع ما صنع رسول الله يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً»[2].

وعن الباقر عليه السلام في ابتعاد الإسلام الحقيقي عن الحياة منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وعودته على يدي الإمام المهدي: «كأني بدينكم هذا لا يزال مولّياً، يفحص بدمه ثم لا يرده عليكم إلا رجل منّا أهل البيت...»[3].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣٤٠ عن تفسير العياشي.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٢ ح١٠٨ عن غيبة النعماني.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٢ ح١٠٦ عن غيبة النعماني.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلىٰ أمر قد دثر وضلّ عنه الجمهور (أي: عامة المسلمين)، وإنما سمّي القائم مهدياً لأنه يهدي إلىٰ أمر مضلول عنه، وسمّي القائم لقيامه بالحق»[1].

رابعاً: إسعاد البشرية:

إن تطبيق حكم الله في الأرض سيرضي الله ويرضي البشرية، وذلك لأن الشريعة الإلهية هي أسمىٰ وأفضل نظام للحياة على مستوى الفرد والمجتمع، وهو نظام عادل ينسجم مع الطبيعة الإنسانية ليس فيه ظلم ولا انحياز ولا تخلّف بل فيه مراعاة لكل حاجات الإنسان وميوله السليمة، فلا يجوع فيه إنسان ولا يُظلم، ولا يتأخر عن مسيرة التكامل المادي والروحي في هذه الحياة الدنيا فضلاً عن امتلاكه أسباب النجاة يوم الحساب والحصول على رضا الله عزّ وجلّ للدخول في الجنة.

والإمام المهدي هو مُطبّق حكم الله في الأرض فلا يمكن أن يطبّق إلا بقيادة رائد رباني يعرف بجزئيات هذا الحكم وهذه الشريعة وأيضاً مسنوداً من قبل الله في سلامة التطبيق، وله القدرة القيادية الكافية في تنفيذ الأحكام الإلهية في الأرض كلّها.

قال الإمام الصادق في حديثه عن الإمام المهدي: «... أما تحبّون أن يظهر الله عزّ وجلّ الحق والعدل في البلاد ويحسن حال عامّة الناس، ويجمع الله الكلمة، ويؤلف بين القلوب المختلفة، ولا يعصي الله في أرضه، وتقام حدود الله في خلقه، ويرد الحق إلى أهله فيظهروه حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق؟!»[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «... إذا قام قائمنا فإنّه يقسّم بالسويّة ويعدل في خلق الرحمٰن، البرّ منهم والفاجر... وتجمع إليه أموال الدنيا كلها ما في بطن الأرض وظهرها فيقول للناس: تعالوا إلىٰ ما قطعتم فيه

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٣٠ عن إرشاد المفيد.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٨ عن إكمال الدين.

الأرحام، وسفكتم فيه الدماء، وركبتم فيه محارم الله، فيعطي شيئاً لم يعط أحد كان قبله»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام في تطبيق الإمام المهدي العدل بكل دقة وجديّة: «أما والله ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ»[٢].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «القائم منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوىٰ له الأرض (لعله إشارة إلى وسائل النقل الحديثة أو الاتصالات) وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عزّ وجلّ به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقىٰ في الأرض خراب إلا عُمّر...»[٣].

وعن البركات الحاصلة في دولة الإمام المهدي العالمية نتيجة رضا الله عزّ وجلّ عن العباد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «... لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد...»[٤].

إن سيرة الإمام وعدله وكشفه للعلوم سيكون منَ الأسباب الطبيعية لهذه البركات في تحسّن الظروف البيئية وتقدم الزراعة وازدياد المحبة بين الناس.

وقال الإمام الصادق عليه السلام عنه: «ينتج الله في هذه الأمة رجلاً منّي وأنا منه، يسوق الله به بركات السموات والأرض فتُنزل السماء قطرها وتخرج الأرض بذرها، وتأمن من وحوشها وسباعها، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٥].

وهكذا نرىٰ أن البشرية سوف تعيش أفضل عصر من عصور تاريخها فتذوق السعادة بأحلىٰ صورها ولأول مرة، فطوبىٰ لمن أدرك زمانه.

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٢٩ عن علل الشرائع.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٦٢ عن غيبة النعماني.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٩١ عن إكمال الدين.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ٣١٦ عن الخصال.

(٥) بحار الأنوار ٥١: ١٤٦ عن غيبة الطوسي.

علائم ظهور الإمام المهدي[1]

ذكرنا فيما سبق غيبة الإمام المهدي وبعض عللها، ثم ذكرنا ظهوره المبارك لتحقيق الأهداف الربانية على الأرض، والآن يأتي السؤال: متىٰ يكون هذا الظهور؟ وهل هناك علائم يستهدى بها في معرفة قرب وقوعه؟

إن التاريخ الدقيق ليوم الظهور أمر لا يمكن معرفته فهو من أمر الله وسرّ من أسراره التي اختص بها لنفسه، ولذا سوف يكون ظهوره عليه السلام بغتة.

سئل النبي صلى الله عليه وآله فقيل: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذريّتك؟

فقال: «مثله مثل الساعة لا يجلّيها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض، لا يأتيكم إلا بغتة»[2].

وقال أيضاً: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب ويملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[3].

ومن هنا ورد الأمر بتكذيب الوقّاتين فإن الأئمة لم يوقّتوا لأحد.

---

(١) راجع للتفصيل «دولة المهدي» ص٣٣.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ١٥٤ عن إكمال الدين وعيون أخبار الرضا.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٧٢ عن إكمال الدين.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كذب الموقّتون، ما وقتنا فيما مضىٰ ولا نُوَّقِت فيما يستقبل»[1].

وقال أيضاً: «من وقّت لك من الناس شيئاً فلا تهابنّ أن تكذّبه فلسنا نُوَّقِت لأحد وقتاً»[2].

ولكن رغم ذلك فإن هناك أفقاً عاماً لمرحلة الظهور يتحدد بتقادم الزمن، قال النبي صلى الله عليه وآله: «إن المهدي من عترتي من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان»[3].

وبملاحظة مجمل علائم الظهور نجد أن بعضها يحمل في طيّاته وقتاً وقّته الأئمة وهو غير مشمول بالنهي عن التوقيت لأنه ليس تاريخاً محدداً بالأرقام بل متوقف على تشخيص وقت العلامة المذكورة بالإضافة إلى أنه في وقتٍ يقترب كثيراً من يوم الظهور مما يجعل التوقيت ذو فائدة بالغة لأنه يؤثر في سير أحداث الظهور وسلوك المؤمنين والأنصار حينها.

وعلائم الظهور جاءت على شكل إخبارات غيبية لأحداث ستقع قبل الظهور بأوقات متفاوتة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: علائم لأحداث حتمية الوقوع.

والثاني: علائم لأحداث جزئية متفرقة غير حتمية يشملها المحو والاثبات الإلهي.

أولاً: العلائم الحتمية:

وهي علائم خمس تجتمع في السنتين الأخيرتين من عصر الغيبة، ولا يشملها البداء.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني والسفياني والصيحة وقتل النفس الزكيّة والخسف بالبيداء»[4].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٠٣ عن غيبة الطوسي.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٠٤ عن غيبة الطوسي.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٧٤ عن غيبة الطوسي.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٤ عن إكمال الدين.

١ ـ السفياني:

السفياني رجل يخرج في بلاد الشام من نسل أميّة واسمه الصريح أو الرمزي عثمان بن عنبسة، ويكون وجهه قبيح وفيه أثر الجدري، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «هو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عنبسة وهو من ولد أبي سفيان»[١].

يتحرك السفياني في بلاد الشام فيواجه مقاومة من قائدين آخرين يرفضان خروجه وهما الأصهب والأبقع.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «فأول أرض تخرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون ويقتله السفياني ومن معه ويقتل الأصهب»[٢].

وهذه الحرب تدوم خمسة أشهر ينتصر فيها السفياني وبعد أن تستتب الأمور له يسيطر على منطقة الشام ويحكم لمدة تسعة أشعر يظهر بعدها الإمام المهدي عليه السلام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة»[٣].

٢ ـ اليماني:

قائد عسكري يخرج من اليمن بجيش ويتجه نحو العراق فيما كان السفياني قد توجه إليه مع الخراساني والذي هو أيضاً قائد عسكري يخرج من إيران ويدخل العراق في مواجهة السفياني الغازي.

قال الصادق عليه السلام: «خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد (المراد تحرّكهم نحو العراق)

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٥ عن إكمال الدين.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٣٧ عن غيبة النعماني.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٢١٥ عن غيبة الطوسي.

وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني يهدي إلىٰ الحق»[1].

٣ ـ قتل النفس الزكيّة:

تبدأ قصة النفس الزكيّة وهو رجل هاشمي طاهر عندما يظهر الإمام المهدي ظهوراً أوليّاً كثائر في المدينة المنورة فيبعث السفياني جيشاً إلى المدينة، وقبل أن يصل هذا الجيش إلى المدينة يرسل الإمام المهدي عليه السلام أحد أتباعه وهو محمد بن الحسن إلى مكة المكرمة يدعو أهلها لنصرة الثائر في المدينة، إلا أن أهل مكة سيرفضون الدعوة ويأخذون الرسول داخل بيت الله الحرام فيذبحونه صبراً بين الركن والمقام فيهتز عرش الرحمٰن ـ كما ورد ـ لهول هذه الجريمة، وهتك حرمة الله عزّ وجلّ ورد أن الله عزّ وجلّ لا يمهل أهل مكة بعد ذلك فيكون الظهور المبارك بعد خمسة عشر ليلة فقط من ذبح النفس الزكيّة.

روي: «النفس الزكيّة غلام من آل محمد اسمه محمد بن الحسن يقتل بلا جرم ولا ذنب فإذا قتلوه لم يبقَ لهم في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر، فعند ذلك يبعث الله قائم آل محمد...»[2].

ووصف أمير المؤمنين عليه السلام قتل النفس الزكية فقال: «قتل نفس حرام في يوم حرام في بلد حرام عن قوم من قريش، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما لهم ملك بعده غير خمسة عشر ليلة»[3].

٤ ـ الخسف في البيداء:

عندما يتجه جيش السفياني إلى المدينة لقتل الإمام المهدي يخرج الإمام إلىٰ مكة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلىٰ مكة فيبعث جيشاً على أثره فلا يدركه حتىٰ يدخل مكة خائفاً يترقّب على سنة موسىٰ بن عمران.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢١٠ عن غيبة الطوسي.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢١٧ عن غيبة الطوسي.
(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٢٣٤ عن غيبة النعماني.

قال: وينزل أمير جيش السفياني البيداء فينادي منادٍ من السماء: يا بيداء أبيدي القوم فيخسف بهم»[1].

٥ ـ الصيحة في السماء:

الصيحة هي صوت عظيم يحدث في السماء في فجر ليلة القدر ليلة الثالث والعشرين من آخر شهر رمضان في عصر الغيبة ويعقبه ظهور الإمام المهدي في شهر محرّم الحرام.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان»[2].

وهذا الصوت سيكون على شكل عبارة أو عبارات يسمعها كل أهل لغة بلغتهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ينادي منادٍ باسم القائم.

قال الراوي: خاص أم عام؟

قال الإمام: عام يسمعه كل قوم بلسانهم.

قال الراوي: فمن يخالف القائم وقد نودي باسمه؟!

قال الإمام: لا يدعهم إبليس حتىٰ ينادي في آخر الليل فيشكك الناس»[3].

ولعل نداء إبليس عبارة عن نشرات الإذاعة المسائية التي ستعطي تفسيراً موهماً لهذا الصوت لتشكك الناس به[4].

هذه هي العلامات الحتمية الخمس التي تشكل الأساس لعلائم الظهور دون غيرها وذلك لحتميتها ولوجود وقت فيها.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٣٨ عن غيبة النعماني.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٤ عن إكمال الدين.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٥ عن إكمال الدين.

(٤) لقد عرضنا هذه العلامات باختصار شديد ولمزيد من التفصيل والوضوح راجع كتابنا «دولة المهدي».

القسم الثاني: العلائم المتفرقة غير الحتمية:

وهي أحداث وأوضاع مختلفة متناثرة في صفحات التاريخ الإسلامي والعالمي، وهي غير حتمية بل يشملها البداء والمحو والاثبات، وهذه العلامات كثيرة سنشير إلى بعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

الخسوف والكسوف:

خسوف وكسوف في غير وقتيهما، فالخسوف عادة يكون في وسط الشهر والكسوف في أوله فيما سيحدث خسوف في أول الشهر وكسوف في وسطه ولعلّهما بسبب جرم غير القمر في الكسوف وغير الأرض في الخسوف.

قال الباقر عليه السلام: «آيتان بين يدي هذا الأمر خسوف القمر لخمس وكسوف الشمس لخمسة عشر ولم يكن ذلك منذ هبط آدم إلى الأرض...»[1].

الموت الواسع:

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «قدّام القائم موتان: موت أحمر وموت أبيض حتىٰ يذهب من كل سبعة خمسة، فالموت الأحمر السيف (أي: القتل) والموت الأبيض الطاعون (أي: الوباء)»[2].

إنه دمار شامل يبيد أكثر الناس، ولا يكون ذلك إلا بحرب عالمية حديثة يستعمل فيها السلاح بأشدّ صوره وأفتك أنواعه.

وسوف لا يكون القتلىٰ كلهم بالسلاح مباشرة، بل قسم منهم سيموت بالأوبئة الطبيعية (ولعل منها الأيدز) بالإضافة إلى ما ينتج من تفسخ الأجساد المقتولة من أمراض وأوبئة.

إن هذا الموت الواسع المنتظر سوف يكون له عدّة آثار ونتائج تتعلّق بظهور الإمام المهدي، منها تصفية عدد كبير من الشرائح الفاسدة في

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٧ ح٤١ عن إكمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٧ ح٤٢ عن إكمال الدين.

المجتمع البشري والمتدنية بعيداً في مهاوي الضلال والتي تصعب هدايتها وتتعسّر وليس لها في علم الله عزّ وجلّ إلا الاستئصال من الجسم البشري حفاظاً على أجزائه الأخرىٰ الأكثر سلامة كما تُستأصل الأورام الخبيثة من البدن.

ومن نتائجه أيضاً تقديم الدليل العملي والواقعي الحسي للبشرية على فساد أنظمتها التي صنعتها لنفسها من شيوعية واشتراكية ورأسمالية وعلمانية حيث سيتم الدمار والخراب على يد المَدنِّية الحديثة وبسواعد المثقفين والعلماء الغربيين والشرقيين الذين ساروا بطريق المَدنِّية من دون إيمان وخلق يردعهم عن استغلاله لمنافعهم المادية الأنانية وتحقيق نزواتهم الشاذة عن السمو والكرامة الإنسانية.

إن الحرب العالمية الثالثة ستكون أكبر دليل على فشل الإنسان في سيره بعيداً عن الدين الإلهي وعن الفطرة الإنسانية السليمة، وستوجد في نفوس شعوب العالم المتبقية من دمارها الواسع التطلّع نحو نظام جديد وقائد مخلّص لها من آلامها العميقة»[1].

علامات أخرىٰ:

وهي كثيرة حدث قسم منها وقسم ينتظر التحقق:

منها الرايات السود من خراسان التي حدثت في قيام الدولة العباسية، ومنها ثورة صاحب الزنج في البصرة، وقتل أهل مصر أميرهم (ولعله أنور السادات) والحروب الصليبية وفتح القسطنطينية، وقحط يشمل أهل العراق يأتيهم من قبل العجم (أي: غير العرب عموماً ولعله الحصار الظالم المضروب على الشعب العراقي منذ عدّة سنوات) وانحسار نهر الفرات عن كنز والأعور الدجّال[2].

هذا بالإضافة إلى العلامات التي تتحدث عن سلوك الناس وأنواع المعاصي ومظاهر الإنحراف عن الطريق القويم كإماتة الصلاة وإضاعة الأمانة

---

(١) دولة المهدي: ٤١.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٩٣ عن إكمال الدين.

واستحلال الكذب وأكل الربا وأخذ الرشى واستعمال السفهاء وقطع الأرحام، وأتباع الأهواء، والاستخفاف بالدماء، وتحليت المصاحف وزخرفة المساجد وتطويل المنابر، وإكرام الأشرار، ونقض العهود وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء و...[1].

وهدم حائط مسجد الكوفة وظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات ونزول الترك (وهم عموم المغربيين) الجزيرة، ونزول الروم (أي: اليهود) الرملة (أي فلسطين) وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه (أي: المذنب) وحمرة تظهر في السماء، ونار تظهر بالمشرق وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة وخلع العرب أعنتها وتملكها البلاد، وخروجها عن سلطان العجم (وهي حركات الاستقلال في البلدان العربية وخروجها من الدولة العثمانية).

وأيضاً خراب الشام ودخول رايات قيس والعرب إلى مصر، وبثق في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة، وخروج ستين كذاباً كلهم يدعي النبوة، وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة السلام، وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار، وزلزلة حتى ينخسف كثير منها وخوف يشمل أهل العراق، وموت ذريع فيه، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات (ولعلّه ما حلّ بالعراق مؤخراً)[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع بحار الأنوار ٥٢: ٢١٩ عن إرشاد المفيد، وراجع «دولة المهدي»: ٣٦.

انتظار المسلمين ظهور المهدي

إن الانتظار حالة يعيشها الإنسان والمجتمع بدرجة تتناسب مع نوع وأهمية المنتظَر وبما يناسب المنتظِر.

فالفلاح أشدّ شوقاً للمطر من العامل، والتاجر أكثر انتظاراً للموسم، والمريض أكثر حاجة للطبيب والدواء، وكلما اشتدّت الحاجة زاد الانتظار، وكلما زادت أهمية المنتظَر اشتدّ الشوق إليه.

إن الأخبار الكثيرة التي وردت عن النبيﷺ وأوصيائه في الإمام المهدي القائم بالحق الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وانتصاره المحتم، وإهلاكه الظالمين كل ذلك بالإضافة إلى الأحداث التي مرّ بها المسلمون بعد النبيﷺ وأهمّها شهادة الإمام الحسين ـ كما سنبين ـ جعلت المؤمنين في شوق بالغ إليه وإلىٰ يومه المبارك، بل جاءت الأخبار باستحباب الانتظار لأنه حياة وأمل ويُفضي إلى الاستعداد.

قال رسول اللهﷺ: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عزّ وجلّ»[1].

إن رسول اللهﷺ كان يعلم بانقلاب معظم أمته بعد وفاته على أعقابهم، وتركهم وصيّته، وإعراضهم عن وصيّه، ومن بعده بقيّة أوصيائه فحث المؤمنين الثابتين على طاعته والمتمسكّين بشريعته على ترقب الفرج

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٢ عن عيون أخبار الرضا.

بظهور المهدي المنتظر القائم بالحق الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال رسول الله ﷺ في حديث عن ظلم أوصيائه وقتلهم: «... أخبرني جبرائيل عن ربه عزّ وجلّ أن ذلك يزول إذا قام قائمهم، وعلت كلمتهم، وأجمعت الأمة على محبتهم، وكان الشانىء لهم قليلاً والكاره لهم ذليلاً...

وقال: معاشر المؤمنين أبشروا بالفرج فإن وعد الله لا يخلف وقضاؤه لا يردّ وهو الحكيم الخبير...»[1].

وقال أيضاً: «لا تذهب الدنيا حتىٰ يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2].

وقال في مرضه الذي توفي فيه لابنته فاطمة: «والذي نفسي بيده لا بدّ لهذه الأمّة من مهدي وهو والله من ولدكِ»[3].

فكل هذه الأحاديث بالإضافة إلى أحاديث أخرىٰ كثيرة جداً رواها المسلمون جعلت الانتظار حالة عامة لدىٰ المؤمنين.

وقد جاءت الأحداث بعد وفاة النبي ﷺ معززة هذا الشوق ومؤكّدة الحاجة إلى القائم بالحق الذي يحسم الأمر ويقضي على الفتن. ولو غضضنا البصر عن جزئيات ما حدث بعد النبي من التفرقة بالعطاء وتحريم بعض ما أحل الله وتغيير الشرائع مما أدىٰ إلى اعتراض المخلصين من الصحابة وبالتالي ضربهم ونفيهم في البلاد واكتفينا بما عظم واشتهر من الإنحرافات لتحدثنا عمّا حدث في زمن عثمان بن عفّان وتفضيله بني أميّة وإرجاعه طريد رسول الله مروان بن الحكم إلى المدينة ومخالفته الشرع الحنيف في العطاء إلى غير ذلك من الإنحرافات التي ثار عليها المسلمون وانتهى الأمر إلىٰ قتله.

ثم بويع الوصي الأول علي بن أبي طالب خليفة رسول الله فواجه ثلاثة

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٦٧ عن أمالي الطوسي.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٦٦ عن عيون أخبار الرضا.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٦٧ عن أمالي الطوسي.

حروب في ثلاث سنين كان فيها خليفة للمسلمين شنّت عليه من البغاة والمارقين والقاسطين حتىٰ استيلاء معاوية على الحكم وقتله للوصي الثاني الإمام الحسن بالسم وقتله الصحابي حجر بن عدي وأصحابه وتغييره الأحكام وجعله الحكم وراثة فأوصىٰ إلى ابنه يزيد الفاسق شارب الخمر المستحل لما حرّم الله فأتىٰ بالفظائع من قتل ابن بنت رسول الله الوصي الثالث الإمام الحسين بن علي عليه السلام تلك القتلة الفظيعة، وأيضاً إباحته المدينة ثلاثة أيام لجيشه الإجرامي، وأيضاً هجومه على مكة المكرمة وضرب بيت الله الحرام بالمنجنيق، إلى غير ذلك مما لا يسع المجال لذكره وإحصائه.

وكان أكثر جُرم ارتكب بعد رسول الله من حيث النوعية والبشاعة هو مأساة الطفّ الفظيعة التي كانت الحد الفاصل بين عهد ظلّ يتسم بالمعالم الإسلامية ولو بالظاهر وبين عهد أصبحت فيه مخالفة الإسلام وسفك دماء المسلمين أمراً عادياً في الدولة، وبالتالي أصبح من المؤكد والواضح أن الإسلام غاب عن واقع المسلمين بدرجة كبيرة والإنحراف بلغ مداه فلا نجاة إلا بالقائم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

إن بروز حالة الانتظار في الحياة الإسلامية للإمام المهدي كانت لعوامل عديدة سنذكر بعضها باختصار:

أولاً: انحراف الحاكم والحكم عن الإسلام:

وذكرنا أن هذا الإنحراف بدأ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أشار الله عزّ وجلّ إليه في قرآنه الكريم قبل حدوثه بقوله: **﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾**[1].

إلا أن المسلمين لم يدركوا خطورة هذا الإنحراف في تركهم وصية النبي وإعراضهم عن الخليفة الذي نصّبه إلا بعد فترة حيث بدأ الإنحراف يتضح ويتسع متمثلاً بمخالفة سنن النبي وأحكام الشريعة كما أشرنا ثم انتهىٰ الأمر إلى قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه بأفظع قتلة تخالفها القيم الإلهية والأخلاق الإنسانية.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

ولا ننسى أن المسلمين في صدر الإسلام ولقربهم من عهد النبي العظيمﷺ كانوا أشدّ تمسكاً بالأحكام والشرائع الإسلامية وأكثر حساسيّة لها عما هو عليه الحال الآن بعد أن اعتاد المسلمون على رؤية الإنحراف والمعاصي والابتعاد عن الإسلام. ولذا كان ألمهم شديد لرؤية الانحراف عن الإسلام الذي بعث فيهم الأمل بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومن هنا أصبحوا يتطلعون للتغيير ويتفاءلون بما أخبرهم به النبيﷺ من قيام الإمام المهدي الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وبالتالي عودة أوصياء رسول الله بالحق إلى الحكم وتنفيذ وصيّته وعودة المجتمع الإسلامي إلى مسيرته التكاملية السليمة.

ثانياً: رفض الظلم والظالمين وطلب الثأر منهم[1]:

لقد أوجد الظلم الذي جرى من الحكام بعد رسول الله وقتلهم صحابة النبيﷺ كعمار بن ياسر وحجر بن عدي وميثم التمار وغيرهم كثير ثم قتلهم الإمام الحسين عليه السلام وما لاقاه منهم حالة من الرفض العميق للظلم والاضطهاد لدى المسلمين والرغبة الشديدة بالانتقام من الظالمين وإقصائهم عن مسرح الحياة، وهذه الحالة وهذا الشعور شدّهم إلى ترقّب ظهور الإمام المهدي القائم على محاربة الظلم والجور.

ونجد هذه الرغبة بالانتقام من الظالمين واضحة فيما رواه العيص بن القاسم قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام (أي: الإمام الصادق) قاتل الحسين بن علي (بعد وفاته) فقال بعض أصحابه: كنت أشتهي أن ينتقم الله منه في الدنيا (أي: بالقتل وليس الموت).

فقال عليه السلام: «كأنك تستقل له عذاب الله وما عند الله أشدّ عذاباً وأشدّ نكالاً»[2].

ونجد اللوعة والأسى العميق لقتل الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء في قصيدة دعبل الخزاعي أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول:

---

(١) راجع في هذا الموضوع كتيبنا عن العلاقة بين نهضة الإمام الحسين وثورة الإمام المهدي.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٠١ عن ثواب الأعمال ٢: ٢٥٧.

أفاطم لو خلتِ الحسين مجدّلاً ... وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
إذاً للطمت الخدّ فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات

إلى أن يقول:

نفوس لدىٰ النهرين من أرض كربلا ... معرّسهم فيها بشطّ فرات
توفّوا عطاشا بالفرات فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتني بكأس الذلّ والغصّات

ثم يتطلع إلى القائم من آل محمد المنتقم لهم فيقول:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ ... تقطّع قلبي إثرهم حسرات
خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري ... فغير بعيد كلّ ما هو آتِ
ولا تجزعي من مدّة الجور إنني ... أرى قوّتي قد آذنت بشتات
فإن قرّب الرحمٰن من تلك مدّتي ... وأخّر من عُمري بطول حياتي
شفيت ولم أترك لنفسي رزيّة ... وروّيت منهم منصلي وقناتي[1]

إنها رغبة شديدة بالانتقام من الظالمين مع الإمام المهدي المنقذ المنتظر عجل الله فرجه وهو في ذلك الوقت لم يولد بعد.

دخل حمران على الإمام الباقر عليه السلام فقال له: جعلت فداك إني قد دخلت المدينة (المنورة) وفي حقوي هميان فيه ألف دينار وقد أعطيت الله عهداً أنني أنفقها ببابك ديناراً ديناراً أو تجيبني فيما أسألك عنه!

فقال: يا حمران سل تجب ولا تبعّض دنانيرك.

فقلت: سألتك بقرابتك من رسول الله أنت صاحب هذا الأمر والقائم به؟

قال: لا.

---

(١) ديوان دعبل بن علي الخزاعي: ١٣٥.

قال حمران: فمن هو بأبي أنت وأمي؟

فقال: «ذاك المشرب حمرة...»[1].

لم يكن واضحاً لدىٰ حمران من هو الإمام المهدي وأنه الوصي الثاني عشر بل كان يتوقع كل وصي من الأوصياء الاثني عشر أنه هو القائم.

وهذا الحكم بن أبي نعيم قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام وهو بالمدينة فقلت له: عليّ نذر بين الركن والمقام إذا أنا لقيتك أن لا أخرج من المدينة حتىٰ أعلم أنك قائم آل محمد أم لا... فإن كنت أنت رابطتك (أي بقيت معك مستعداً للجهاد) وإن لم تكن أنت سرت في الأرض فطلبت المعاش.

... قلت: فأنت الذي تقتل أعداء الله ويعزّ بك أولياء الله ويظهر بك دين الله[2]؟

وقال إبراهيم بن خليل: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك مات أبي علىٰ هذا الأمر (أي: إتباع الأئمة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله) وقد بلغت من السنين ما قد ترىٰ، أموت ولا تخبرني بشيء؟!

فقال: يا أبا إسحاق أنت تعجل!

فقلت: إي والله أعجل، وما لي لا أعجل وقد بلغت من السنّ ما ترى؟

فقال: أما والله يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتىٰ تميّزوا وتمحّصوا وحتىٰ لا يبقىٰ منكم إلا الأقل...»[3].

وقال حصين الثعلبي: لقيت أبا جعفر محمد بن علي في حج أو عمرة فقلت له: كبرت سنّي ودقّ عظمي فلست أدري يُقضىٰ لي لقاؤك أم لا، فاعهد إليّ عهداً وأخبرني متىٰ الفرج[4]؟

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٤٠ عن غيبة النعماني.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ١٤٠ عن الكافي.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١١٣ عن غيبة النعماني: ١١١.

(٤) بحار الأنوار ٥١: ٣٧ عن غيبة النعماني.

وعن مسعدة قال: كنت عند الصادق عليه السلام إذا أتاه شيخ كبير قد انحنىٰ متكئاً على عصاه، فسلّم، فردّ عليه أبو عبد الله عليه السلام الجواب. ثم قال: يابن رسول الله ناولني يدك لأقبلها.

فأعطاه فقبلها ثم بكىٰ، ثم قال أبو عبد الله: ما يبكيك يا شيخ؟!

فقال: جعلت فداك أقمت على قائمكم منذ مائة سنة أقول: هذا الشهر وهذه السنة وقد كبر سنّي ورقّ جلدي ودقّ عظمي واقترب أجلي ولا أرىٰ فيكم ما أحب، أراكم مقتولين مشرّدين وأرىٰ أعداءكم يطيرون بالأجنحة، وكيف لا أبكي؟!

فدمعت عينا أبي عبد الله ثم قال: يا شيخ إن أبقاك الله حتىٰ ترىٰ قائمنا كنت في السنام الأعلىٰ، وإن حلّت بك الميتة جئت يوم القيامة مع ثقل محمد صلى الله عليه وآله ونحن ثقله...»[1].

وقال داود الرقّي للإمام الصادق عليه السلام: جعلت فداك قد طال هذا الأمر علينا حتىٰ ضاقت قلوبنا ومتنا كمداً!

فقال: إن هذا الأمر آيس ما يكون وأشدّ غمّاً...»[2].

وروىٰ عبد الرحمٰن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم الأسدي فقال: أخبرني جعلت فداك متىٰ هذا الأمر الذي تنتظرونه فقد طال؟!

فقال: يا مهزم، كذب الوقّاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلّمون وإلينا يصيرون»[3].

وعن عبد الحميد الواسطي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتىٰ أوشك الرجل منّا يسأل في يديه!

---

(١) كفاية الأثر: ٢٦ وتفسير البرهان ٢: ٢٧٩.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٣٨ عن غيبة النعماني.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٠٣ عن غيبة الطوسي.

فقال: يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجاً! بلى والله ليجعلن الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا.

قال: قلت: فإن مت قبل أن أدرك القائم؟

فقال: القائل منكم: إن أدركت القائم من آل محمد نصرته، كالمقارع معه بسيفه، والشهيد معه له شهادتان»[1].

هكذا طمأن الإمام الباقر عليه السلام المؤمنين أن الانتظار سوف لا يذهب من دون فائدة للمنتظر إذا مات قبل الظهور بل هو كالمحارب مع الإمام المهدي في ثورته، وبالتالي كان الانتظار حالة المؤمنين في كل زمان منذ غيبة الإمام المهدي بل وقبلها وستستمر حتى ظهوره عجل الله فرجه.

قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام والد الإمام المهدي بعد أن أراه لبعض خاصة أصحابه: «هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً»[2].

والشواهد كثيرة جداً على انتظار المسلمين للإمام المهدي عبر التاريخ مما يصعب معه حصرها فكلّما اشتدّ البلاء بهم كلما استغاثوا به داعين الله بتعجيل فرجه وقد وردت أدعية كثيرة في ذلك في كتب الأدعية كدعاء الندبة ودعاء الافتتاح ودعاء العهد وغيرها.

هذا بالإضافة إلى الكتب المؤلفة في الإمام المهدي وانتظاره ولقد لاقت رواجاً كبيراً بين المؤمنين وخصوصاً وقت حصول الأحداث الكبيرة التي يمكن تصور قرب الظهور بها وختاماً نذكر بعض الأبيات المعبّرة من قصيدة السيد حيدر الحلي رضوان الله عليه التي يبث فيها شجونه ويستنهض صاحب الأمر عجل الله فرجه ليأخذ بثأر المظلومين وخصوصاً سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام حيث يقول في مطلعها مخاطباً الإمام المهدي:

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٦ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٥ عن إكمال الدين.

الله يـا حـامـي الـشـريـعـة ... أتـقـرّ وهـي كـذا مـروعـه
بـك تـسـتـغـيـث وقـلـبُـهـا ... لـك عـن جـوى يـشـكـو صـدوعـه

إلى أن يقول:

مـات الـتـصـبـر بـانـتـظـا ... رك أيـهـا الـمـحـيـي الـشـريـعـه
فـانـهـض فـمـا أبـقـىٰ الـتـحـمّـل ... غـيـر أحـشـاء جـزوعـه

ويقول:

كـم ذا الـقـعـود ودينـكـم ... هـدمـت قـواعـده الـرفـيـعـه
تـنـعـىٰ الـفـروع أصـولَـه ... وأصـولُـه تـنـعـىٰ فـروعـه

ثم يستنهضه لأخذ الثأر قائلاً:

مـاذا يـهـيـجـك إن صـبـرت ... لـوقـعـة الـطـفّ الـفـضـيـعـه
أتـرىٰ تـجـيء فـجـيـعـةٌ ... بـأمـعـن مـن تـلـك الـفـجـيـعـه
حـيـث الـحـسـيـن عـلـى الـثـرىٰ ... خـيـل الـعـدىٰ طـحـنـت ضـلـوعـه
قـتـلـتـه آل أمـيّـة ... ظـام إلـىٰ جـنـب الـشـريـعـه
ورضـيـعـه بـدم الـوريـد ... مـخـضـبٌ فـاطـلـب رضـيـعـه
يـا غـيـرة الله اهـتـفـي ... بـحـميّـة الـديـن الـمـنـيـعـه
وضُـبـا انـتـقـامـك جـرّدي ... لـطـلا ذوي الـبـغـي الـتـلـيـعـه
ودعـي جـنـود الله تـمـلأ ... هـذه الأرض الـوسـيـعـه

إلى آخر القصيدة[1].

فوائد الانتظار:

لما قدّر الله عزّ وجلّ غيبة الإمام المهدي عليه السلام الصغرىٰ والكبرىٰ وأمر المؤمنين بانتظار ظهوره وترقّب ذلك اليوم السعيد يوم الخلاص والفرج كان لهذا الانتظار فوائد وحكم لعلها تكون من العلل في تقدير الغيبة وطولها، ومن هذه الفوائد:

---

(١) ديوان السيد حيدر الحلي: ٨٨.

أولاً: التسليم والصبر:

وهما خلقان عظيمان يمارسهما المؤمن في عصر الغيبة بانتظاره الإمام الغائب حتىٰ يصبحا من صفاته الأساسية المرتبطة بإيمانه، وبالانتظار يتعمق الصبر والتسليم.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج...»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام حاثاً على الصبر والانتظار: «... واستعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولنّ عليكم الأمر فتقسوا قلوبكم»[2].

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «... له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون... ويهلك فيه المستعجلون وينجو فيه المسلّمون»[3].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «... فهم بإمامتِهِ مقرّون وبعروته مستمسكون ولخروجه منتظرون، موقنون غير شاكّين، صابرون مسلّمون...»[4].

ثانياً: الأمل بدل اليأس:

إن المنتظر ليس آيساً من لقاء ما ينتظره بل الانتظار هو انعكاس للأمل الذي يعطيه القدرة على الصبر وينجيه من متاهات اليأس القاتلة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلىٰ الله عزّ وجلّ انتظار الفرج»[5].

واليأس من روح الله من الذنوب الكبيرة المبغوضة لدىٰ الله عزّ وجلّ، فالمنتظر لظهور الإمام المهدي عليه السلام إنما هو يعيش الأمل المحيي للنفوس

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٩ عن إكمال الدين.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٣ عن الخصال.
(٣) إكمال الدين ٢: ٣٧٨.
(٤) غيبة النعماني: ٢٠.
(٥) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٣ عن الخصال.

والمحافظ على حيوية الإيمان بدل اليأس البغيض والمميت للطاقات.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «أليس انتظار الفرج من الفرج؟!...»[1].

وعن الإمام السجّاد عليه السلام قال: «انتظار الفرج من أعظم الفرج»[2].

نعم إن انتظار الفرج هو جزء من الفرج ولولاه لاستحكمت حلقة البلاء على الإنسان وقُضي عليه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ومن عرف هذا الأمر فقد فُرّج عنه بانتظاره»[3].

ولهذه الأهمية البالغة للانتظار وفوائده جاءت التوصية به مؤكّدة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «... وانتظر الفرج صباحاً ومساءً»[4].

ثالثاً: الارتباط بالإمام:

لا شك أن الذي ينتظر الإمام المهدي عليه السلام ويترقب ظهوره وقيامه يكون أكثر ارتباطاً به ممّن لا ينتظر، لأن الأول يفكّر دائماً بالإمام ويراقب علائم الظهور ويعيش الأمل بقرب حلوله وبالتالي لا يرىٰ منقذاً له سوىٰ الإمام بل لا يُحِبّ في الدنيا أحداً كحبّه لإمامِهِ الغائب، بينما الثاني ناسياً لإمامه غافلاً عنه ليس له ثواب المنتظرين العارفين بإمامهم.

رابعاً: رفض الواقع المنحرف:

إن انتظار الإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ ينطوي في جوهره على رفض الواقع المنحرف عن الإسلام الحقيقي وبالتالي هو إنكار للمنكر ورفض للظلم والفساد ويؤدي إلىٰ حصول مناعة لدىٰ المنتظر من الانخراط والذوبان في الأجواء الفاسدة التي تنتشر حتىٰ في أوساط المسلمين قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٢٨ عن إكمال الدين.

(٢) إكمال الدين ١: ٣٢٠.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٤٢ عن غيبة النعماني.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ١٣٣ عن غيبة النعماني.

خامساً: الاستعداد للنصرة:

فمن آثار وفوائد الانتظار للإمام المهدي ـ عجل الله فرجه ـ الاستعداد لنصرته في ثورته الإسلامية المقدسة، وقد وردت الأخبار في استحباب الاستعداد لنصرته ولو بتهيئة سهم.

قال الصادق عليه السلام: «ليعدّنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً...»[1].

والسهم هو مثال للسلاح البسيط فإن الأسلحة التي سيستعملها الإمام لا يشترط أن تكون أسلحة قديمة بل هي كل سلاح يجوز استعماله[2].

ثم إن الاستعداد للنصرة ليس على صعيد القتال فقط بل في كافة الجوانب الإيمانية والأخلاقية وبه يحصل المؤمن على شرف نصرة الإمام وقبوله إياه في أصحابه وأوليائه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «من سرّ أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه فجدّوا وانتظروا...»[3].

كان هذا عرضاً موجزاً لمسيرة النبوة والإمامة في الإسلام منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وحتى العصور المتأخرة في عصر الغيبة الكبرى وأيامنا هذه.

ومن الجدير بالبحث هنا موضوع المسيحيين في عصر الإمام المهدي وموقف الإمام منهم وموقفهم منه، هل هي مواجهة وحرب أم هداية وإصلاح؟ وما هو دور المسيح عليه السلام في ذلك بعد نزوله؟ ولماذا رفع إلى السماء ومتى يعود إلى الأرض؟ كل هذه الأسئلة وأسئلة أخرى سنحاول الإجابة عليها في القسم الثاني من الكتاب لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في الحياة الإنسانية ومستقبل البشرية.

---

(١) غيبة النعماني: ٣٢٠.

(٢) راجع كتابنا «دولة المهدي».

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٤٠ عن غيبة النعماني.

المسيحيون والإمام المهدي

يشكل المسيحيون والمسلمون في العالم أكبر كتلتين بشريتين تعتنقان أوسع ديانتين سماويتين، والحديث عن مستقبل العالم هو بالأساس حديث عن مستقبل المجتمعين الإسلامي والمسيحي، وهذان المجتمعان يلتقيان في كون دينيهما سماويين مع تشابه في بعض العقائد والأحكام الأساسية وبعض التفاصيل واختلاف في أخرى.

أما من الناحية الحياتية والاجتماعية فهناك نوع من العداء والنفرة كرّسهما التسلّط من قبل حكومات العالم المسيحي على دول العالم الإسلامي لدوافع وأغراض كثيرة ولكن ولحسن الحظ لا يصل هذا النمط من التعامل بحدّته إلى الأوساط الدينية المستقلة عن الأوساط السياسية، وإلى الأوساط الشعبية البريئة، وإن كان كل منهم يعيش في دينه ومنهجه الخاص ويعتقد أنه على حق متمنياً هداية الطرف الثاني إلى دينه وفي التاريخ جرت محاورات بين النبي محمدﷺ ورؤساء ورجال دين المسيحيين في صدر الإسلام بهدف توحيد أتباع هاتين الديانتين السماويتين على الحق أو المشترك من الحق كما قال الله عزّ وجلّ لنبيّه محمدﷺ بشأن أصحاب الديانات السماوية وأصحاب الكتاب: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله...﴾**[1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

وامتاز اليهود في تاريخهم بقتل الأنبياء والانحراف عن حقيقة الدين الإلهي فسوّدوا صفحات التاريخ الإنساني وقد وصف القرآن الكريم موقفهم من المؤمنين بالقول: «لتجدنَّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...»[1].

وقال مخاطباً لهم: «قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين»[2].

ولو لاحظنا تاريخ الأنبياء ورسالاتهم لوجدنا لليهود والمسيحيين ومن ثم المسلمين الدور الأكبر فيه حيث نزلت التوراة بشكل مفصل لتبدأ مرحلة واسعة من النضج الديني في المسيرة البشرية ولكن وللأسف تعرّضت للتحريف وابتليت بادعياء العلم والدين من الكتبة والفريسين اليهود الذين انحرفوا عن جادة الدين القويمة وسيطروا على الناس باسم الشريعة والأنبياء قاتلين كل نبي يقف بوجههم حتىٰ جاء المسيح قبل ما يقرب من ألفي عام ليبدأ عهداً جديداً في تاريخ الأنبياء والرسالات.

ومن الملفت في بعثة المسيح أمران جليّان هما:

الأول: عدم إتيانه بشريعة مفصلة خاصة كما جاء بها موسىٰ من قبل بل اعتمد شريعته والناموس مع بعض التعديلات الطفيفة كما يتضح ذلك من القرآن والإنجيل ويؤيده الواقع، ولا غرابة في ذلك فإن الأديان السماوية أمر واحد ومن مصدر واحد.

قال الله تعالىٰ في القرآن الكريم على لسان عيسىٰ مخاطباً بني إسرائيل: ﴿**ومصدقاً لما بين يديّ من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم...**﴾[3].

وفي إنجيل القديس متىٰ يقول المسيح لتلاميذه: «لا تظنّوا أنّي جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء: ما جئت لأبطل بل لأكمل»[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٠.

(٤) إنجيل متىٰ: ١٧/٥.

وقال للجموع ولتلاميذه: «إن الكتبة والفريسيّين على كرسيّ موسىٰ جالسون فافعلوا ما يقولون لكم واحفظوه ولكن أفعالهم لا تفعلوا لأنهم يقولون ولا يفعلون...»[1].

أما في الواقع فيكفي إلقاء نظرة عابرة على العهد الجديد فنرىٰ أنه يحتوي على سيرة المسيح في بعثته القصيرة مع بعض التشريعات المختصرة وكثير منها تأكيد لشريعة موسى عليه السلام.

الثاني: قصر فترة بعثته حيث لم تتجاوز السنوات الثلاث فارتفع إلىٰ السماء سريعاً عندما حكم عليه رجال الدين اليهود بالقتل[2] ولم يعد بالإمكان بقاؤه في الأرض.

وهنا نتساءل عن هدف بعثة المسيح القصيرة؟ وعن موقع رسالته بين رسالة موسىٰ ورسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ والدور الذي قام به على الأرض من قبل صعوده إلىٰ السماء؟

فهل يُعقل أنه بعث بعد ولادة إعجازية من غير أب وحدث له ما حدث، وما جرىٰ على يديه من كرامات ومعاجز هو فقط لادخال بعض التعديلات الطفيفة على شريعة موسىٰ؟! وأنه جاء ليوصي بالمحبة والسلام فقط، وهما جزء صغير من تعاليم الأديان السماوية؟!

إن الرأي ـ على ما نعتقد ـ يتجه في تفسير ذلك إلىٰ أن بعثته كانت في الحقيقة مرحلة فاصلة بين الديانة الموسوية والمحمديّة بشكل يمهد فيه للإسلام ليس إلا سواء بالتمهيد المباشر والتبشير بمجيء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما هو دأب الأنبياء السابقين في تبشيرهم بالأنبياء اللاحقين، أو بتمهيد الأرضية الاجتماعية المناسبة لبزوغ فجر الإسلام الدين الإلهي الشامل والأخير.

وفي التمهيد الأول جاء قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**وإذ قال عيسىٰ**

---

(١) إنجيل متىٰ: ٢٣/١ ـ ٣.

(٢) ولا يهمنا سواء نفذ الإعدام ثم قام بعد موته وارتفع إلىٰ السماء كما يعتقد المسيحيون أو شبّه لهم ذلك ونجىٰ المسيح من الموت وارتفع إلىٰ السماء كما أكّد القرآن الكريم، والنتيجة واحدة في قصر فترة بعثته وارتفاعه إلىٰ السماء.

ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد...»[1].

وفي إنجيل يوحنا يقول المسيح لتلاميذه وهو يوصيهم قبل ارتفاعه الى السماء فيقول لهم: «أما الآن فإني ذاهب إلى الذي أرسلني... إنه خير لكم أن أذهب فإن لم أذهب لا يأتكم المؤيِّد أما إذا ذهبت فأرسله إليكم وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبرّ والدينونة... لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها فمتى جاء هو، أي روح الحق[2]، أرشدكم إلى الحق كله (لأن رسالته الإسلامية شاملة كاملة من حيث العقيدة والأخلاق والنظام) لأنه لن يتكلّم من عنده بل يتكلّم بما يسمع (أي: بالوحي كما جاء في القرآن: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**[3]) ويخبركم بما سيحدث (وهي إخباراته الغيبية الكثيرة) سيمجّدني لأنه يأخذ ممّا لي ويخبركم به»[4].

إن المنصف والمتجرد يرى بوضوح انطباق هذا الكلام على النبي محمد ﷺ.

أما التمهيد على الأرض فكان بإلغائه لشرعية الحركة الدينية اليهودية التي كان يتزعمها في ذلك الوقت الكتبة والفريسيون الخارجون عن حقيقة الدين الإلهي والمستحلّون للمظالم والمراؤن والمتسلطون على الناس باسم الدين وهم أعداؤه وقد استباحوا قتل الأنبياء المعارضين لهم كما حاولوا ذلك مع المسيح نفسه وقد وبّخهم كثيراً وتصدى لهم وفضحهم بين الناس[5] مما أدى إلى محاربتهم له وسعيهم في قتله.

وبجهوده أنقذ قسماً كبيراً من بني إسرائيل وعامة الناس من هذا الدجل

---

(١) سورة الصف: الآية ٦.

(٢) الظاهر هذا توضيح من يوحنا صاحب الإنجيل وليس من كلام المسيح.

(٣) سورة النجم: الآية ٣ و٤.

(٤) إنجيل يوحنا: ١٦/ ٥ ـ ١٤.

(٥) راجع على سبيل المثال حديثه مع الناس حول رياء الكتبة والفريسيين وتحذيرهم منهم كما ورد في إنجيل متى: ٢٣.

الديني والانحراف المقدّس والذي هو أخطر أنواع الإنحراف، وبالتالي تمهّدت الأرضية لمجيء الإسلام خاتماً للشرائع السماوية.

لقد كانت بعثة المسيح عليه السلام رحمة من الله ولطفاً بالإنسانية جمعاء في قبال المرض اليهودي الخبيث.

ولم ينتهِ لطف الله عزّ وجلّ بعباده عند هذا الحد من إيقاف الوباء اليهودي من الانتشار في التاريخ الذي جاء به المسيح وما بعده بل سبق علمه بأن الإسلام وهو دينه الحق سينتشر ويعم ربوع البشرية ويصلح حاله وحال المسلمين في آخر مرحلة من مراحل التاريخ الإنساني بظهور الإمام المهدي وتشكيله الدولة الإلهية العادلة في الأرض، فادخر المسيح في السماء لينزل عند ظهور الإمام المهدي ويكون حلقة الوصل بين المسلمين والمسيحيين فيأخذ بأيدي أتباعه نحو الإسلام بعد أن يكشف لهم الحقائق ويبت بالاختلافات بين الإسلام والمسيحية ويتوحد الجميع في دين إلهي واحد.

هذا ملخّص لموضوع المسيحية والإمام المهدي وفيما يلي بعض التفصيل.

المخلص عند المسيحيين

بعثة المسيح

ولد المسيح من مريم العذراء ومن دون أب بطريقة إعجازية معروفة لدىٰ المسيحيين والمسلمين حيث خلقه الله عزّ وجلّ كما خلق آدم فكان آية من آياته وأنطقه في المهد شاهداً على عفّة وطهارة أمّه العذراء.

وكانت بعثة عيسىٰ المسيح إلىٰ بني إسرائيل وغيرهم فعاش فيهم نبيّاً مدّة لا تتجاوز الثلاث سنين ممارساً مهامّه الرساليّة والمتمثلة بالوعظ والإرشاد، مظهراً المعاجز والصفات النبوية السامية مما شدّ الجموع إليه وأحدث تأثيراً في الناس وفي البشرية استمرّ عبر القرون المتمادية وإلىٰ الآن.

وكانت دعوته الشريفة قد تعرّضت لأنواع الاضطهاد والتنكيل توّجت بمحاولة صلبه وقتله حتىٰ رفعه الله إليه حفظاً له وادخاراً لمهمّة خطيرة قادمة تستدعي هذا الموقف الإلهي والتدبير الرباني، فلم يُرفع المسيح لمجرد حفظه من القتل وتجنيبه الأذىٰ فهذا مما اعتاد عليه الأنبياء وأذن الله به لأوليائه كرامة لهم وإظهاراً لحقّهم، بل كان الرفع والحفظ والإدخار لهدف ضروري يجب تحقيقه على الأرض في وقته الذي لم يحن في ذلك الزمان.

أما ما هو هذا الهدف؟ وما هي رسالة المسيح الأساسيّة التي لم تتم حين بعثته ورفع إلىٰ السماء حتىٰ يحين الوقت الذي يستطيع فيه اتمامها؟ ومتىٰ يأتي ذلك الوقت؟

سنحاول في هذا الكتاب الإجابة على كل هذه الأسئلة، والكشف عن

حقيقة رفع المسيح إلىٰ السماء وعودته من خلال الأناجيل القانونيّة الأربعة (متىٰ، لوقا، مرقس، يوحنا) نفسها وعلى لسان المسيح ذاته.

وثاقة الإنجيل:

وهنا أحب أن أنبّه الأخوة القراء من المسلمين إلى خطأ شائع أو غموض سائد حول الإنجيل أو الأناجيل المعروفة الأربعة والمسماة مع رسائل بولس بالعهد الجديد وهو الاعتقاد بوقوع التحريف الشامل فيها خلال التاريخ وأن الكنيسة قامت بأحداث التغييرات في النصوص وفي تعاليم المسيح تمشيّاً مع الأهواء والمصالح عبر التاريخ وفي العهود المظلمة.

ونحن نعتقد بحدوث «بعض» التحريف المتعمد سواء من قبل من تظاهر بالمسيحية من اليهود الأوائل أو من قبل بعض المغرضين من رجال الدين المسيحيين عبر التاريخ وفي ذلك شهادات من باحثين مسيحيين ومسلمين[1] دون أن يكون تحريفاً شاملاً يسقط كل شي ـ كما سنبيّن ـ هذا بالإضافة إلى التغييرات الحاصلة على النصوص نتيجة تقادمها الزمني ومشاكل الاستنساخ والتعريب.

وأقل ما يقال في هذه التغييرات ما قالته الرهبانية اليسوعية: «إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نسّاخ صلاحهم للعمل متفاوت، وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ـ مهما بُذل فيها من الجهد ـ بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه، يُضاف إلىٰ ذلك أن بعض النسّاخ حاولوا أحياناً ـ عن حسن نية[2] ـ أن يصوّبوا ما جاء في مقالهم وبدا لهم أنه يحتوي أخطاء واضحة أو قلّة دقة في التعبير اللاهوتي، وهكذا أدخلوا إلىٰ النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ.

ثم يمكن أن يُضاف إلىٰ ذلك كلّه أن الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديد في أثناء إقامة شعائر العبادة أدّىٰ أحياناً كثيرة إلىٰ إدخال

---

(١) راجع كتاب «تحريف بولس للمسيحية» وأيضاً «الكتاب المقدس في الميزان».

(٢) ويمكن في بعض الأحيان عن سوء نيّة.

زخارف غايتها تجميل الطقس أو إلىٰ التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت على التلاوة بصوتٍ عالٍ.

ومن الواضح أن ما أدخله النسّاخ من التبديل على مرّ القرون تراكم بعضه على البعض الآخر فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلىٰ عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل ظهرت في عدد كبير من القراءات»[١].

وبالإضافة إلى التحريف والتغيير المتعمد وغير المتعمد هناك حقيقة أخرىٰ وهي أن الإسلام كدين سماوي جاء مكملاً للأديان السابقة ولاغياً العمل بها باعتباره آخر وأكمل رسالة ربانية إلى البشرية جمعاء تصلح لتكون الشريعة الإلهية المقررة على الأرض حتىٰ يوم القيامة.

وهذه العلاقة بين الأديان وتكميل وتجديد وإلغاء بعضها البعض الآخر أمر واضح تاريخياً حتىٰ ما يتعلق بالمسيحية بالنسبة إلىٰ ما قبلها، تقول الرهبانية اليسوعية عن الأناجيل الأربعة أو العهد الجديد أن فيها «أحكام العهد الموسوي القديم الذي جدّده يسوع وتخطّاه»[٢].

وقد قرر النص القرآني هذا الأمر معتبراً أن الدين الإسلامي هو خاتمة الأديان المكمل لها مطالباً البشرية بالأخذ بهذه الصيغة النهائية للدين الإلهي كما قال: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**[٣].

وقال: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[٤].

ولكن رغم كل هذا نجد في هذه الأناجيل الأربعة المقررة من قبل الكنيسة ـ والحاوية في الحقيقة على تاريخ سيرة المسيح وكلماته ومواعظه وهي ليست نصاً سماوياً حرفياً جاء به المسيح كالقرآن ـ الكثير من نفحات النبوّة الصادقة للمسيح متناثرة فيها كأقوال ومواعظ سجّلت في فترة

---

(١) الكتاب المقدس ـ العهد الجديد: ص١٢ ـ ١٣ طبع دار المشرق بيروت سنة ١٩٩١م.

(٢) العهد الجديد: ص٧ ضمن طبعة دار المشرق للكتاب المقدس سنة ١٩٩١م.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

رسالته[1]، فليس كل ما في الأناجيل محرّف بل كثير منه سليم وصادق لم تطاله أيدي المتلاعبين ولا سهو النسّاخ، وهو سيكون مستندنا في هذه الدراسة.

هدف بعثة المسيح:

إن الأنبياء عموماً يشتركون بخط إلهي واحد يقوم على أساس تعريف الناس بالخالق ودعوتهم إلىٰ عبادته وطاعته واتباع شرائعه المنزلة في سلوك الفرد مع نفسه ومع الآخرين.

وكان لكل نبي درجة من الرسالة تتناسب مع فترته الزمنية والمستوىٰ البشري الذي يتعامل معه مكملاً لجهود من سبقه وممّهداً للذي يليه، وغالباً ما كان يتمحور عمله ودوره حول نقطة تكون أساساً لدعوته يعمل من أجل تحقيق إرادة الله فيها ضمن المخطط الرباني العام للبشرية على وجه الأرض.

فآدم عليه السلام وضع الأسس الأولى للدين من معرفة الخالق وبعض الأحكام القليلة، ونوح عاش في فترة كانت حاسمة تقرر فيها تصفية الجيل البشري وإهلاك غير المؤمنين لتكون ولادة ثانية للأجيال البشرية تنحدر من المؤمنين فقط بعد أن كانت قد انحدرت من نبي الله آدم ثم ظهر فيها الفساد تدريجيّاً فوضع حدّ له في عصر نوح.

ونبي الله إبراهيم تمركز عمله على إظهار التوحيد الخالص والتام ورفض كل الآلهة المزيفة التي شاع الرجوع إليها في زمانه.

أما موسىٰ فقد جاء على نهج إبراهيم التوحيدي محطماً فراعنة عصره وهادياً لبني إسرائيل نحو الله وحاملاً لهم الشريعة والناموس والألواح التي حوت على أحكام وتعاليم مفصلة نسبياً.

ثم جاء دور عيسىٰ المسيح متمماً لما قبله وممهداً لما بعده وقد تركزت رسالته وبعثته بالبشارة، وكلمة «إنجيل» مأخوذة من اللفظ اليوناني

---

(١) لدينا كتاب قيد التحرير يتناول عرض ما أمكننا تشخيصه من نصوص ومفاهيم مشتركة بين الإسلام والأناجيل تعكس وحدة المصدر الإلهي.

«أونجليون» ومعناه «خبر طيّب» و«بشرىٰ الخلاص» وإعلان هذه البشرىٰ[١].

يقول القديس مرقس في إنجيله:

«وبعد اعتقال يوحنا[٢] جاء يسوع إلىٰ الجليل يُعلن بشارة الله فيقول: حان الوقت واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشارة»[٣].

إنها بشارة الله باقتراب «ملكوت الله» فما هو هذا الملكوت؟ سنشير إلىٰ ذلك بعد أن ننقل لكم نصوصاً أخرىٰ تبيّن مدىٰ الأهمية التي أولتها رسالة المسيح للبشارة وكأنه ما بعث إلا لإعلان هذه البشارة وهي اقتراب «ملكوت الله».

يقول المسيح للذين حاولوا الإمساك به لئلاّ يذهب عنهم: «يجب عليّ أن أبشّر سائر المدن أيضاً بملكوت الله فإني لهذا أرسلت»[٤].

وقد قرن التضحية من أجله بالتضحية من أجل البشارة فقال للناس ولتلاميذه: «من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه ويحمل صليبه[٥] ويتبعني، لأن الذي يريد أن يُخلّص حياته يفقدها وأما الذي يفقد حياته في سبيلي وسبيل البشارة فإنه يخلّصها»[٦].

وقال أيضاً: «الحق أقول لكم: ما من أحدٍ ترك بيتاً أو إخوةً أو أخوات أو أماً أو أباً أو بنين أو حقولاً من أجلي وأجل البشارة إلا نال في هذه الدنيا مائة ضعف من البيوت والإخوة والأخوات والأمهات والبنين والحقول مع الاضطهادات، ونال في الآخرة الحياة الأبدية»[٧].

ويقول القديس مرقس في إنجيله: «وقام قبل الفجر مبكراً فخرج وذهب إلىٰ مكان قفر وأخذ يصلّي هناك، فانطلق سمعان وأصحابه يبحثون

---

(١) الكتاب المقدّس ـ العهد الجديد: ص٢٥ طبع دار المشرق ١٩٩١م بيروت.

(٢) هو نبي الله يحيىٰ.

(٣) إنجيل مرقس: ١/ ١٤ و١٥ ـ ومتىٰ: ٤/ ١٢ ـ ١٧ و٣/ ٢ و٨/ ١٠ ـ ولوقا: ٤/ ١٤ و١٥.

(٤) إنجيل لوقا: ٤/ ٤٢ و٤٣.

(٥) أي يستعد للشهادة.

(٦) إنجيل مرقس: ٨/ ٣٤ و٣٥.

(٧) إنجيل مرقس: ١٠/ ٢٩ و٣٠ ـ ومتىٰ: ١٩/ ٢٧ إلىٰ ٣٠ ـ ولوقا: ١٨/ ٢٨ إلىٰ ٣٠.

عنه فوجدوه وقالوا له: جميع الناس يطلبونك!

فقال لهم: لنذهب إلى مكانٍ آخر، إلىٰ القرىٰ المجاورة لأبشّر في مجامعهم»[١].

وعن وجوب إعلان البشارة لجميع الأمم قال لتلاميذه: «ويجب أن تعلن البشارة قبل ذلك[٢] إلىٰ جميع الأمم»[٣].

فالبشارة عالمية تهم الناس جميعاً وقد طلب من تلاميذه التبشير بها عالمياً: «اذهبوا في العالم كلّه واعلنوا البشارة إلىٰ الخلق أجمعين»[٤].

وهذا ما كان يفعله كما يقول القديس متىٰ في إنجيله: «وكان يسير في الجليل كلّه يُعلّم في مجامعهم ويُعلن بشارة الملكوت»[٥].

وفي مرّة دعا المسيح أحد الرجال ليكون من أنصاره فقال له: «اتبعني.

قال: ائذن لي أن أمضي أولاً فأدفن أبي.

فقال له: دع الموتىٰ يدفنون موتاهم، وأما أنت فامض وبشّر بملكوت الله»[٦].

إنه أمر ملح ومستعجل وأساسي يُترك كل شيء من أجله.

يقول القديس متى في إنجيله: «أرسلهم يسوع وأوصاهم قال: . . . اذهبوا إلىٰ الخراف الضالة من بيت إسرائيل واعلنوا في الطريق أنْ قد اقترب ملكوت السماوات»[٧].

«وأية مدينة دخلتم ولم يقبلوكم فاخرجوا إلىٰ ساحاتها وقولوا: حتىٰ

---

(١) إنجيل مرقس: ١/ ٣٥ إلىٰ ٣٩ ـ ولوقا: ٤/ ٤٢ إلىٰ ٤٤ ـ ومتىٰ: ١٤/ ٢٣ و٢٦/ ٣٦.

(٢) أي قبل حدوث «ملكوت الله» الذي يبشّر به.

(٣) إنجيل مرقس: ١٣/ ٩ و١٠ ـ ومتىٰ: ١٠/ ١٧ إلىٰ ٢٢.

(٤) إنجيل مرقس: ١٦/ ١٥.

(٥) إنجيل متىٰ: ٤/ ٢٣.

(٦) إنجيل لوقا: ٩/ ٥٩ و٦٠.

(٧) إنجيل متىٰ: ٩/ ٥ إلىٰ ٧.

الغُبار العالق بأقدامنا من مدينتكم ننفضه لكم ولكن اعلموا بأن ملكوت الله قد اقترب»[1].

ويقول القديس لوقا في إنجيله: «ودعا الإثني عشر... ثم أرسلهم ليعلنوا ملكوت الله»[2].

إن البشارة إذاً هي بأمر عظيم بعث السيد المسيح من أجل إعلانه، وكان لا يترك فرصة حتىٰ يبشّر به، ودعا اتباعه إلىٰ ذلك وأن يضحّوا بالنفس والنفيس من أجله ألا وهو «ملكوت الله» الذي اقترب وقت حدوثه، فماذا يعني «ملكوت الله» أو «ملكوت السماوات»؟ وما هي أهميته؟! هل هو حدث في السماوات أم على الأرض؟ وهل هو معانٍ مجرّدة لا ترتبط بالواقع بشيء أم هو حدث له أبعاد واقعية في الأرض وفي الحياة الإنسانية؟

تقول الرهبانية اليسوعية: «رسالة يسوع هي دعوة الناس إلى ملكوت السماوات.

ثم تقول: ويدخل الناس في ملكوت السماوات إذا تابوا عن خطاياهم وحفظوا وصايا الله.

ثم تضيف معتبرة ذلك أمراً معنوياً فتقول: ولذلك أعلن يوحنا في وعظه: «توبوا قد اقترب ملكوت السموات» فليس ملكوت السموات ملكاً دنيوياً كما توهّمه اليهود والرسل أنفسهم فتساءلوا من الأكبر فيه؟

وأراد يعقوب ويوحنا أن يجلسا فيه عن يمين يسوع وشماله.

وسأل التلاميذ يسوع يوم صعوده إلىٰ السماء: يا رب (أي: يا مربّينا) في هذا الزمن تعيد الملك إلى إسرائيل؟

فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات»[3].

والعجب أن الرهبانية اليسوعية رغم كل هذه الشواهد التي تذكرها

---

(١) إنجيل لوقا: ١٠/ ١٠ و١١.

(٢) إنجيل لوقا: ٩/ ١و٢.

(٣) الكتاب المقدس: ص٨٤٢ طبع دار المشرق سنة ١٩٩١ بيروت.

الدالة على فهم التلاميذ والناس للمعنىٰ الواقعي لملكوت الله وأنه حكم على الأرض له وقت يُنتظر تطرح معنىٰ مثالياً غير واقعي عن الملكوت وبدون أي دليل وتعتبره وجوداً غيبيّاً يدخله الناس بالتوبة، فما معنىٰ الانتظار إذاً والتبشير بقرب حدوثه وأنه يكون في النهاية كما سيأتي[1].

والصحيح هو ما يستخرج من نفس نصوص الإنجيل التي تتعرض لمسألة «ملكوت الله» وبذلك يكون تفسيراً للإنجيل بالإنجيل وليس بالاعتماد على الآراء النظرية المفترضة.

لقد ورد هذا الاصطلاح (١٤) مرّة في إنجيل مرقس و(٣٩) مرة في لوقا و(٣٢) مرة في متىٰ وبعد ملاحظة مجمل النصوص يظهر لنا ـ وبكل وضوح ـ أن «الملكوت» هو الحكم، و«ملكوت الله» هو «حكم الله» و«دولة الله» في الأرض، ومن هذه النصوص:

قال المسيح لتلاميذه عندما طلب من أحدهم أن يعلّمه الصلاة ـ أي الدعاء ـ: «متىٰ صلّيتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات (أي: ربنا) ليتقدّس اسمُك، ليأتِ ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»[2].

وفي عبارة القديس متىٰ: «ليأت ملكوتك ليكن ما تشاء في الأرض كما في السماء»[3].

أي أن يُطبّق حكم الله وتنفذ إرادته ومشيئته في الأرض من قبل البشرية كما يطبق حكمه وتنفّذ مشيئته في السماء من قبل الملائكة، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بشريعة الله وأوامره وترك نواهيه وفق ما جاء به الأنبياء، وهذه هي إرادته ومشيئته التي تنتظر التحقق في «ملكوت الله» القادم والذي بعث المسيح للتبشير به كما تقدم[4].

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع «المهدي والمسيح ـ قراءة في الإنجيل».

(٢) إنجيل لوقا: ١١/٢.

(٣) إنجيل متىٰ: ٦/١٠.

(٤) إنجيل لوقا: ٤/٤٢ و٤٣.

وهذا المعنىٰ فهمه اليهود من أنبيائهم وظنّوا أن الملكوت قريب وأحسّوا بالخطر على وجودهم من قائد هذا الملكوت ـ أي المسيح كما فهموا ـ لأنه ما كان منهم ولم يكن مرتبطاً بوجودهم الديني المزيف.

كما أن الناس فهموا أيضاً من المسيح معنىٰ «ملكوت الله» وأنه حكم ودولة فاشتاقوا إلى الاشتراك فيه وتحصيل عزّته وكرامته كما يظهر لنا من هذا الحوار الذي ذكره القديس متّىٰ في إنجيله:

«فدنت إليه أم ابني زبدىٰ ومعها ابناها، وسجدت له (أي: انحنت له احتراماً) تسأله حاجة فقال لها: ماذا تريدين؟

قالت: مر أن يجلس ابناي أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكوتك.

فأجاب يسوع: إنكما لا تعلمان ما تسألان، أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سأشربها؟

قالا له: نستطيع.

فقال لهما: أما كأسي فسوف تشربانها وأما الجلوس عن يميني وعن شمالي فليس لي أن أمنحه، بل هو للذين أعدّه لهم أبي[1] (أي: ربي).

إن كأسه له أن يعطيه من يريد أما الجلوس عن يمينه وشماله في «ملكوت الله» فإنه يعود إلى الله إما بالانتخاب والتعيين المباشر أو ضمن الموازين التي يطبقها المسيح كنبي مرسل، فأمره من أمر الله، وبهذا تقع على من كان أهلاً لها.

فملكوت الله إذاً هو حكم إلهي على الأرض فيه قيادة ومناصب ومسؤوليات، قضىٰ الله عزّ وجلّ قيامه على الأرض لصالح الإنسان والإنسانية، فكما أن السماوات صالح أمرها بتنفيذ مشيئة الله فيها كذلك ينتظر أن يصلح أمر الأرض بمن عليها أيضاً بتنفيذ مشيئته فيها، فتكون مشيئته حينئذ في الأرض كما هي في السماء، وهذا هو «ملكوت الله» الذي يدعو

---

(١) إنجيل متىٰ: ١٣/٢٣ و١٤.

المسيحيون في كل صلاة يوم أحد طالبين من الله قدومه وحلوله كما علمهم المسيح عليه السلام.

ومع أن المسيحيين غير ملتفتين عموماً إلىٰ المراد الحقيقي من الملكوت إلا أننا نشاهد هناك حالة من الانتظار واسعة لدىٰ الملايين منهم كما سيأتي في فصل خاص.

إن هذه الدولة الإلهية على الأرض ستكون لها بركات تعم كافة البشر في حياتهم المادية والمعنوية وهو المستفاد من قول المسيح لتلاميذه: «فلا تهتموا فتقولوا: ماذا نأكل؟ أو: ماذا نشرب؟ أو: ماذا نلبس؟ فهذا كلّه يسعىٰ إليه الوثنيون، وأبوكم السماوي (أي: الأب المربي) يعلم أنكم تحتاجون إلىٰ هذا كلّه، فاطلبوا أولاً ملكوته وبرّه تزادوا هذا كلّه»[1].

فإذا سعينا في إقامة حكم الله وملكوت الله في الأرض فستحل كافة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها لأنها جميعاً ناتجة عن سوء النظام السائد وفقدان العدل وإساءة التوزيع وتسلّط الأشرار على المقدّرات، وليس هناك نظام أعدل وأصلح وأنفع من النظام الإلهي لأن واضعه العليم الحكيم جل وعلا الخالق للإنسان والحياة والعالم بما يصلحهما، والعقل يحكم بضرورة بذل الجهود والجهاد في طلب حكم الله وملكوته كبابٍ واسع للخير بدل حصر الهمم وبذل الطاقات في البحث عن المأكل والمشرب والملبس وفي أمور جزئية يسعىٰ لها حتىٰ الأشرار من الناس، ولا تشكّل بحدّ ذاتها هدفاً للحياة، كما قال المسيح.

---

(١) إنجيل متىٰ: ٦/ ٣١ إلىٰ ٣٣.

رفع المسيح إلى السماء

بعد أن قضىٰ المسيح ثلاث سنوات من عمره المبارك نبياً في بني إسرائيل رفعه الله إليه وكان عمره حينها ثلاثاً وثلاثين سنة، ولمعرفة ظروف رفعه إلىٰ السماء سنستعرض ملخصاً للحوادث منذ بعثته إلى رفعه.

بدأت بعثة المسيح على أثر اعتقال نبي الله يحيىٰ «يوحنا» والذي انتهىٰ باستشهاده ونهاية دوره الممهّد والمبشّر بعيسىٰ عليه السلام وبقرب حلول «ملكوت الله» فبدأ عيسىٰ مهمته فور اعتقال يحيىٰ.

يقول القديس مرقس في إنجيله: «وبعد اعتقال يوحنّا جاء يسوع إلىٰ الجليل يُعلن بشارة الله فيقول: حان الوقت واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالبشارة»[1].

ثم طاف في بلاد الشام مظهراً المعاجز من إبراء المرضىٰ وإحياء الموتىٰ حتىٰ اجتمع الناس حوله وأحدث تياراً دينيّاً خالصاً لا ينسجم مع الوجود الديني اليهودي الذي كان يتزعمه مجموعة من رجال الدين اليهود المزيفين مما دفع بهم إلىٰ ترصد حركاته وسكناته والبحث عن أي شيء يمكّنهم من القضاء عليه فهو بالإضافة إلى تبشيره بموضوع «ملكوت الله» ـ كما أسلفنا ـ والذي يعني قيام دولة إلهية على الأرض بمنهج صحيح بعيداً

(١) إنجيل مرقس: ١/ ١٤ و١٥.

عن الدجل الديني كان من الواضح لدىٰ اليهود قرب بعثة من سيشارك في قيام «ملكوت الله» و«دولة الله» العالميّة هذه فيكون ملكاً إلهياً يحكم الكرة الأرضية بأسرها، وكانوا يتمنون أن يكون من أوساطهم وجماعاتهم، فلما ظهر مستقلاً عنهم جامعاً الناس حوله ومعرّضاً بهم ومستنكراً لأعمالهم وانحرافهم عن الدين القويم مع تصديهم لشؤونه أمام الناس واستغلاله في مصالحهم الخاصة لم يجدوا بدّاً من محاربته وتربّص الدوائر به، ولا يسعنا في هذا الكتاب ذكر تفصيل حركة المسيح في بعثته وموقف اليهود منه لأن ذلك خارج عن الموضوع الأساس في الكتاب فسنعرض عن إيراد النصوص الإنجيلية الكثيرة في ذلك ونكتفي بهذا العرض الموجز.

لقد دام عمل المسيح وتبليغه لرسالته ـ كما قلنا ـ ثلاث سنوات ـ على أبعد تقدير ـ وعظ فيها وأنذر وبشّر بالملكوت فأحدث تحوّلاً دينيّاً عميقاً بقي أثره في أرجاء العالم إلىٰ اليوم رغم قصر تلك المدّة وهذا من فعل الأنبياء.

وانتهت محاربة اليهود له ورفضهم قيادته لملكوت الله أن قرروا الإمساك به ومحاكمته في مجلسهم القضائي سعياً إلىٰ الحكم عليه بالإعدام بعد اتهامه بالكذب والإدعاء والدجل، وتم لهم ذلك إلا أن هناك اختلاف في موضوع صلبه وقتله وقد نفىٰ القرآن الكريم حدوثه بقوله: **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم﴾**[1].

وبهذا نرىٰ أن سبب قصر المدّة التي قضاها المسيح في الأرض هو تصدّي اليهود له ومحاربتهم إياه ولولا موضوع الملكوت لما كانوا قد أسرعوا في أمره وقتله، ولما كان دوره الأساس هو مشاركته في «ملكوت الله» و«دولة الله» التي لم تأت بعد ولا مجال لبقائه على الأرض فترة طويلة لا يعلمها إلاّ الله عزّ وجلّ رفعه إلىٰ السماء حتىٰ يحين الوقت المناسب للعودة إلى الأرض والمشاركة في قيام هذه الدولة المباركة.

وهنا يمكن التساؤل عن علّة هذا الرفع إلىٰ السماء مع ما فيه من خرق للعوامل الطبيعية الذي لا يتم أساساً إلا لضرورة إلهيّة، فهل كان بالإمكان

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٧.

إبقاؤه على الأرض كما هو الحال في أمر الخضر عليه السلام الذي تجاوز عمره الآلاف من السنين وهو حي على الأرض يرزق دون أن يعرفه الناس، وأيضاً الإمام المهدي الذي تجاوز عمره الآن الألف عام وهو يعيش بين الناس ولا يعرفونه، فلماذا لم يختفِ المسيح بين الناس منتظراً قيام ملكوت الله مهما طال الزمن؟!

وللجواب على هذا السؤال نلاحظ أمرين:

الأول: مجيء نبي مرسل إلىٰ البشرية بعد النبي عيسىٰ عليه السلام ألا وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله، فارتفاع المسيح إلىٰ السماء وانسحابه من الحياة البشرية إنما هو إفساح المجال لمجيء نبي جديد بشّر به الأنبياء ومنهم عيسىٰ نفسه، فلا يمكن تصور ـ ضمن سنن النبوّات ـ وجود رسولين من أولي العزم على الأرض في وقت واحد، وهذا مختلف في شأن الخضر عليه السلام لأنه ليس نبياً على الأظهر بل عبد صالح وولي لله عزّ وجلّ لا يتعارض وجوده مع وجود الأنبياء على الأرض كما حدث في زمن بعثة موسىٰ عليه السلام وما جرى من لقاء وحديث وسفر مشترك بينهما.

وكذلك الإمام المهدي فهو خاتم الأوصياء لخاتم الأنبياء ووجوده وكونه خليفة لله على الأرض لا يتعارض مع أي خليفة آخر فليس هناك سواه سفيراً لله في البشرية.

ثانياً: لو افترضنا إمكان وجود نبيّين مرسلين على الأرض في وقت واحد يأتي السؤال عن طبيعة وجود عيسىٰ على الأرض هل هو اختفاء غيبي تام لا يراه فيه الناس؟

وهذا لا يحل المشكلة العلمية المتصوّرة لأنه أيضاً خارق للعادة.

أم هو اختفاء بين الناس بالصفة والعنوان مع بقائه وممارسته لحياته الطبيعية كإنسان؟

وهنا نتساءل عن فائدة هذا الوجود وهذا البقاء مع استمرار صفة النبوة ومسؤولية الرسالة دون ممارسة المهام الرسالية؟!

أما ما يتعلّق بالإمام المهدي فالأمر مختلف حيث أنه الوصي والخليفة

والسفير الإلهي في الأرض بشكل مستمر ولا يعارضه وجود أي سفير آخر كما هو الحال في أمر المسيح، فاختفاء المهدي بين الناس حتىٰ مع عدم ممارسته لوظيفته بشكل ظاهر لا يلغي كونه الخليفة المعيّن والمستمر في أداء وظيفته سرّاً وخفاءً، وحتىٰ لو لم يمارس إلا حياته الشخصية منتظراً حلول وقت ظهوره وثورته فلا مانع من ذلك مع ملاحظة عدم وجود خليفة لله في الأرض غيره، بل إن وجوده ضروري فالأرض لا تخلو من حجّة لله فيها إذاً لساخت بأهلها ـ كما مرّ ـ.

ولم يكن رفع المسيح إلىٰ السماء أمراً طارئاً فرضته الظروف بل سبق إليه علم الله وكان المسيح يعلم بحدوثه ولذا نبّه عليه وأخبرَ أصحابه به في أكثر من مناسبة.

يقول القديس متىٰ في إنجيله: «فدنا إليه تلاميذ يوحنا (يحيىٰ) وقالوا له: لماذا نصوم نحن والفرّيسيّون وتلاميذك لا يصومون؟

فقال لهم يسوع: أيستطيع أهل العُرس أن يحزنوا مادام العريس بينهم؟ ولكن ستأتي أيام فيها يرفع العريس من بينهم فحينئذ يصومون»[1].

وفي يوم قال عيسىٰ للناس: «أنا باقٍ معكم وقتاً قليلاً ثم أذهب إلىٰ الذي أرسلني، ستطلبوني فلا تجدوني وحيث أكون أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا»[2] لأنه في السماء.

وفي مناسبة أخرىٰ قال لهم: «وأنا إذا رفعت من الأرض جذبت إليّ الناس أجمعين».

ولعل هذا من أسباب رفعه إلىٰ السماء حيث سينتشر أمره أكثر فأكثر ويزداد اتباعه وكما نرىٰ اليوم فهم يشكلون أكثر سكان الكرة الأرضيّة.

إلا أن القديس يوحنا فهم من عبارته أنه يريد الصلب فقال: «وقال ذلك مشيراً إلىٰ الميتة التي سيموتها».

---

(١) إنجيل متىٰ: ٩/ ١٤ و١٥ ولوقا: ٥/ ٣٤.

(٢) إنجيل يوحنا: ٧/ ٣٣ و٣٤.

ثم يتابع قائلاً: «فأجابه الجمع: نحن عرفنا من الشريعة أن المسيح يبقىٰ للأبد...؟!»[1].

أي أن الناس عامة كانت تعلم عن طريق الكتب السماوية السابقة والأنبياء أن المسيح يبقىٰ حيّاً إلىٰ نهاية العالم أو الأبد ولا يموت وهذا موافق لقول القرآن الكريم بأنه لم يمت ولا زال حياً وسيبقىٰ إلى النهاية بعد أن ينزل ويشارك في «ملكوت الله» المرتقب.

لقد كان من أهداف إخبار المسيح تلاميذه والناس برفعه إلىٰ السماء قبل حصوله ليستعدوا له ويؤمنوا به حين حدوثه وهذا ما ذكره لتلاميذه عند الوداع المبكّر فقال: «سمعتموني أقول لكم: أنا ذاهب ثم ارجع إليكم، لو كنتم تحبّوني لفرحتم بأنّي ذاهب إلىٰ الأب (أي: الرب) لأن الأب أعظم منّي، لقد أنبأتكم منذ الآن بالأمر قبل حدوثه حتىٰ إذا حدث تؤمنون، لن أطيل الكلام عليكم بعد ذلك لأن سيّد[2] هذا العالم آتٍ»[3].

وبعد أن جرت قصة محاكمته وصلبه ودفنه ثم قيامه من القبر على ما يعتقد المسيحيون ظهر لمريم المجدليّة فأقبلت إليه لتمسك به فقال لها: «لا تمسكيني إني لم أصعد بعد إلىٰ أبي، بل اذهبي إلىٰ إخوتي فقولي لهم أنّي صاعد إلىٰ أبي وأبيكم[4] وإلهي وإلهكم»[5].

وكان من جملة كلامه الطويل في ساعاته الأخيرة مع تلاميذه أن أخبرهم بما سيحدث وأوصاهم فقال: «وقد قلت لكم هذه الأشياء لتذكروا إذا أتت الساعة أني قلتها لكم، ولم أقلها لكم منذ البدء لأني كنت معكم أما الآن فإني ذاهب إلىٰ الذي أرسلني، وما من أحدٍ منكم يسألني: إلىٰ أين

---

(١) إنجيل يوحنا: ١٢/ ٣٢ إلىٰ ٣٤.

(٢) من هو يا ترىٰ سيد هذا العالم الآتي؟ هل هو النبي محمدﷺ أم الإمام المهدي سيد العالم حين نزول المسيح من السماء؟

(٣) إنجيل يوحنا: ١٤/ ٢٨ إلىٰ ٣٠.

(٤) من الواضح في هذا النص أن الأبوة الإلهية للمسيح التي كان يذكرها هي أبوة تربية وانتساب تربوي وليست أبوّة نسب لأنه استعمل المصطلح لهم أيضاً، وهناك موارد كثيرة أخرىٰ في الأناجيل تؤكد هذا المعنىٰ.

(٥) إنجيل يوحنا: ٢٠/ ١٧.

تذهب؟ لا بل ملأ الحزن قلوبكم لأني قلت لكم هذه الأشياء، غير أني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أذهب فإن لم أذهب لا يأتكم المؤيّد».

فهذه هي علّة رفع المسيح إلى السماء وهي فسح المجال أمام شخص آخر يأتي من بعده وإن لم يذهب لا يأتي ونعتقد أنه يريد النبي محمدﷺ ولا يسعنا الخوض في تفاصيل ذلك هنا[1].

وكان من كلامه أيضاً في ذلك الاجتماع مع تلاميذه أن قال لهم: «بعد قليل لا ترونني ثم بعد قليل تشاهدونني... فأنتم أيضاً تحزنون الآن ولكني سأعود فأراكم فتفرح قلوبكم وما من أحد يسلبكم هذا الفرح... خرجت من لدن الأب (أي الرب) وأتيت إلى العالم أما الآن فإني أترك العالم وأمضي إلى الأب...»[2].

ثم يضيف القديس يوحنا في إنجيله: «قال يسوع هذه الأشياء ثم رفع عينيه نحو السماء وقال: يا أبت (أي: يا ربّ) قد أتت الساعة... إني قد مجّدتك في الأرض فأتممت العمل الذي وكلت إليّ أن أعمله... أظهرت اسمك للناس... وعرفوا الآن أن جميع ما وهبته لي هو من عندك وأن الكلام الذي بلغتنيه بلغتهم إياه فقبلوه وعرفوا حقاً أنّي من لدنك خرجت وآمنوا بأنك أنت أرسلتني... لست بعد اليوم في العالم وأما هم فلا يزالون في العالم وأنا ذاهب إليك، يا أبتِ (أي: يا ربّ) القدوس احفظهم باسمك الذي وهبته لي... أما الآن فإني ذاهب إليك ولكنّي أقول هذه الأشياء وأنا

---

(١) المؤيّد أو المؤيِّد، وهو النبي محمد على ما يظهر وليس روح القدس ـ ولعلنا نفرد رسالة في بشائر عيسى بالنبي محمّد ـ ومراده هنا إنه لو لم يذهب إلى السماء لاستمرت ديانته مما يمنع مجيء النبي محمد بالإسلام ـ كما ذكرنا ـ وهذا يُفسّر عدم إخفاء الله له في الأرض كما حدث للإمام المهدي بل رفعه إلى السماء ليفسح المجال ـ وفق سنة الأنبياء ـ لمجيء النبي الأخير، ونلاحظ في تكملة قوله أنه قال: أما إذا ذهبت فأرسله إليكم وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئة.. لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها، فمتى جاء هو... أرشدكم إلى الحق كلّه (لأن رسالة النبي محمد رسالة شاملة وخاتمة للرسالات فيها الحق كله) لأنه لن يتكلّم من عنده بل يتكلّم بما يسمع (لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) ويخبركم بما سيحدث...» إنجيل يوحنا: ١٦/ ٤ إلى ١٣.

(٢) جملته الأخيرة تحمل معنى الآية القرآنية: **﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾**.

في العالم ليكون فيهم فرحي التام أني بلغتهم كلمتك فأبغضهم العالم لأنهم ليسوا من العالم كما أني لست من العالم، لا أسألك أن تخرجهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير (أي: الشيطان)...»[1].

هكذا كان يودع المسيح أصحابه وتلاميذه الاثني عشر ويدعو لهم من كل قلبه ويمهّد لهم إرتفاعه إلىٰ السماء.

وفي آخر لقاء له معهم يقول القديس مرقس في إنجيله: «وتراءىٰ آخر الأمر للأحد عشر أنفسهم... وقال لهم: اذهبوا إلىٰ العالم كلّه واعلنوا البشارة إلىٰ الخلق أجمعين».

ثم يقول: «وبعدما كلّمهم الرب (أي: المربي) يسوع رفع إلىٰ السماء»[2].

وبرواية القديس لوقا: «ثم خرج بهم إلىٰ القرب من بيت عنيا ورفع يديه فباركهم وبينما هو يباركهم انفصل عنهم ورفع إلىٰ السماء»[3].

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم أيّد هذه الحقيقة حيث قال: **﴿إذ قال الله يا عيسىٰ أني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا...﴾**[4].

وقال أيضاً: **﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسىٰ بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظنّ وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾**[5].

---

(١) إنجيل يو حنا: ١٦/ ٤ إلىٰ ١٣ و١٧/ ١ إلىٰ ١٥.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٤/ ٥٠.

(٣) إنجيل مرقس: ١٦/ ١٤ و١٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٥) سورة النساء: الآية ١٥٦ ـ ١٥٨.

عودة المسيح إلىٰ الأرض

كان رفع المسيح إلىٰ السماء إجراء مؤقت ـ وإن طال وقته ـ وسينتهي بعودته إلىٰ الأرض مهد رسالته ونبوّته.

وقد ذكرنا في الفصل السابق النصوص التي ذكر فيها عودته كقوله لتلاميذه: «سمعتموني أقول لكم: أنا ذاهب ثم أرجع إليكم...»[1].

أما في هذا الفصل فسنذكر الهدف المنشود من عودته إلىٰ الأرض ووقت هذه العودة والعلائم التي تسبقها وتبشر بقرب حدوثها.

هدف العودة[2]:

لا شك أن الهدف المرسوم لعودة المسيح من السماء إلى الأرض وممارسته دوره الرسالي مرة ثانية لا بد أن يكون كبيراً وجَليلاً يتناسب مع هذه العملية الربانية الفريدة حيث رُفع نبي من الأرض وادخّر في السماء بقدرة الله جلّ وعلا، ولا يزال محفوظاً هناك ما يقارب الألفي سنة ينتظر عودة مباركة إلىٰ الأرض وفي هذا جمال باهر في التدبير الرباني والحكمة الإلهية والألطاف الرحمانية.

---

(١) إنجيل يوحنا: ١٤/٢٨.

(٢) سنورد في هذا الفصل ملخصاً لما أوردناه في كتابنا «المهدي والمسيح» لمناسبة الموضوع ولمزيد من الفائدة.

ولا شك أن العملية هذه تُدرج في ألطاف الله لعباده فهو في غنىً عن وجوده في السماء وأغنىً عن عودته إلىٰ الأرض، ولا يعدو الأمر في ذهابه وإيابه أن يكون جزءاً من لطف النبوة التي سنّها الله في عباده لهدايتهم وصلاحهم وخلاصهم.

أما الهدف المباشر الذي سيسعىٰ المسيح لتحقيقه في الأرض أو الاشتراك في تحقيقه فيتلخّص في إقامة وإدارة «ملكوت الله» و«حكم الله» و«دولة الله» في الأرض كلها، وهو الأمر الذي تركزت فيه دعوته في الفترة القصيرة الأولىٰ من رسالته ونبوته على الأرض قضاها مبشراً بقرب قيام «ملكوت الله» وشرح هذا الملكوت ومواصفات من سيشارك فيه ووقت مجيئه وأهميته وبركاته ـ كما قدمنا[1] ـ داعياً المؤمنين للاستعداد له وترقبه والدعاء بتعجيل حلوله.

قال لتلاميذه: «متىٰ صلّيتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات (أي: ربنا) ليتقدس اسمُك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»[2].

ولكن هل سيكون للمسيح في هذا الملكوت الدور القيادي المنفرد أم سيشاركه فيه غيره؟ وما هي نسبة هذه المشاركة؟ وهل هو نفس الدولة الدينية العالمية التي ينتظرها المسلمون بقيادة المهدي المنتظر؟

كل هذه الأسئلة سنجيب عليها بشيء من التفصيل في الفصول الأخيرة من هذا الكتاب، أما الآن فسنتطرّق لوصف بعض معالم هذا الملكوت الحكم الديني العالمي الذي بشّر به الأنبياء والمسيح كثيراً ـ كما ذكرنا في الفصل السابق ـ ومن خلال الأناجيل الأربعة وعلى لسان المسيح.

ملكوت الله:

إن الأناجيل نقلت تصريحات كثيرة للمسيح حول ملكوت الله قد تناول

---

(١) وراجع في الموضوع «المهدي والمسيح ـ قراءة في الإنجيل».

(٢) إنجيل لوقا: ١١/ ٢.

حديثه جوانب كثيرة منه واتسم عموماً بالرمزيّة والإشارة والتلميح والتصريح المختصر، مع التأكيد على بعض النقاط وبعض المصطلحات كابن الإنسان[١] ليكون ذلك أقصىٰ ما يمكن أن يحمّل أصحابه من معلومات وتوضيحات حول هذا المشروع الإلهي الكبير، ألا وهو إقامة حكم الله في الأرض بشكل شامل ودائم.

وقد تحدث المسيح عن حتمية نجاح المشروع الإلهي المبني على إنزال الشرائع والأديان وبعث الأنبياء ليطبق حكمه في الأرض من قبل الأفراد والمجتمعات فتصبح البشرية مطيعة للإله شأنها شأن كافة الموجودات ولكن بالاختيار، وبعد أن تجرّب حظها باتباع أنواع الأديان الأرضية والأنظمة البشرية البديلة عن الشريعة الإلهية تعود آخر المطاف إلىٰ الله نادمة على ضلالها وسوء اختيارها، وعند ذلك ينفذ مشروع ملكوت الله كآخر مرحلة من مراحل الشريعة والأنبياء.

يقول المسيح في معرض حديثه عن ملكوت الله: «ولا تظنّوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء ما جئت لأبطل بل لأكمل، الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتىٰ يتم كل شيء أو تزول السماء والأرض»[٢].

أي ستبقىٰ الشريعة ويستمر المشروع الإلهي في مسيرته حتىٰ يطبق الدين السماوي في الأرض كلها كما بشّر الأنبياء وذلك بقيام «ملكوت الله» وإلا زالت السماء والأرض فلا فائدة حينئذ من وجودهما إذا فشل ـ وحاشا لله ـ المشروع الرباني في خلق البشرية وهدايتهم[٣].

وهذا المعنىٰ لو اتضح لنا لفهمنا الهدف من الخليقة وأدركنا معنىٰ هذه

---

(١) ستتحدث عن هذا المصطلح في فصل لاحق.

(٢) إنجيل متىٰ: ٥/١٧ و١٨.

(٣) الغريب أن الرهبانية اليسوعية وقفت حائرة أمام هذا القول للسيد المسيح فقالت عنه: عبارة يصعب فهمها، يرجّح أنه لا يريد... بل إلىٰ نهاية العالم تبقىٰ للشريعة كل سلطتها بعد أن يكون يسوع جدّد قيمتها. العهد الجديد: ٤٨ من طبعة الكتاب المقدس لدار المشرق سنة ١٩٩١ بيروت.

الحياة والطريق السائرة فيه والهدف الذي ستصله عاجلاً أم آجلاً.

ومن الإنصاف أن نقول أن هذا الأمر واضح في الشريعة الإسلامية أكثر من غيرها من الأديان أو بقايا الأديان السماوية السابقة، والكتب الإسلامية والعلماء المسلمون لديهم الكثير من الحديث في شرح هدف الخلق والمسيرة البشرية على الأرض[1].

وفي عالمية هذا الحكم الإلهي قال المسيح لتلاميذه بعد أن ذكر الفتن والبلاءات التي سيتعرّضون لها قبل قيام ملكوت الله مشيراً إلىٰ عالمية البشارة بالملكوت: «ويجب أن تعلن البشارة قبل ذلك إلىٰ جميع الأمم»[2].

لأن حكم الله حكم عالمي يشمل الأرض جميعاً وسينعم به أهل المعمورة كلهم كما قال المسيح: «وسوف يأتي الناس من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة في ملكوت الله»[3].

إنه مائدة الله لعباده بعد جوع وتعب وعناء امتد على طول التاريخ بسبب الإنحراف عن الدين الإلهي.

ودولة الله العالمية المرتقبة سوف لا تقبل أي أحد من دون مواصفات معينة وشروط محدّدة لأن خطتها في تطبيق الأحكام الإلهية وهدفها في رفع مستوىٰ الإنسانية نحو الكمال بحاجة إلىٰ أناس طاهرين ومستعدين للاستجابة للقيادة الربانية التي تسيّر هذه الدولة.

يقول القديس مرقس في إنجيله: «وأتوه بأطفال ليضع يديه عليهم فانتهرهم التلاميذ، ورأىٰ يسوع ذلك فاستاء وقال لهم: دعوا الأطفال يأتون إليّ، لا تمنعوهم فلأمثال هؤلاء ملكوت الله.

الحق أقول لكم: من لم يقبل ملكوت الله مثل الطفل لا يدخله»[4].

«الحق أقول لكم: إن لم ترجعوا فتصيروا مثل الأطفال لا تدخلوا

---

(١) راجع «المهدي والمسيح».

(٢) إنجيل مرقس: ١٣/ ١٠.

(٣) إنجيل لوقا: ١٣/ ٢٩.

(٤) إنجيل مرقس: ١٠/ ١٣ إلىٰ ١٦ ـ ولوقا: ١٨/ ١٥ إلىٰ ١٧.

ملكوت السماوات»[1].

إن الطفل هو رمز البراءة والانصياع والاستماع والطاعة، بريء في نواياه، منصاع لولي أمره، مستمع إليه، مطيع لأمره، وهذه صفات تؤهل الإنسان أن يكون عضواً صالحاً في مجتمع ملكوت الله.

ويقول المسيح أيضاً: «ما أعسر دخول ملكوت الله على ذوي المال فلأن يدخل الجمل ثَقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله».

لأن الغني ـ غالباً ـ أشبع قلبه من حب الدنيا، واعتاد الترف، ولعلّه جمع ماله من طرق محرّمة، فلا يسهل عليه أن يعيش في دولة طاهرة شعارها الإيمان، ومنهجها العمل للدنيا والآخرة، والإنفاق في سبيل الله، والتواضع، وجهاد النفس، وكبح جماح الشهوات، وعدم الإسراف، وعدم التقتير، فكل ذلك يتعارض مع نفوس الأغنياء عادة، وعلى الأخص غير الصالحين منهم.

ومن الشروط التي ذكرها السيد المسيح للدخول في عصر ملكوت الله هو الصدق في الإيمان كما قال لتلاميذه: «فإني أقول لكم: إن لم يزد برّكم على برّ الكتبة والفريسيّين لا تدخلوا ملكوت السماوات»[2].

والكتبة والفريسيّون هم رجال الدين اليهود الذين كانوا يتصدرون الوضع الديني في بني إسرائيل حينها، وكان يغلب عليهم صفة الرياء والدجل الديني دون أن يرتبطوا بالدين الإلهي وبالشريعة كما ينبغي بل يقولون ما لا يفعلون، وقد قال المسيح لعظماء الكهنة وشيوخ الشعب في الهيكل ـ وهو معبد اليهود الكبير في القدس في ذلك الوقت ـ معرّضاً بهم لعدم إيمانهم بنبي الله يحيىٰ الذي كان في زمانه وسبق بعثته: «الحق أقول لكم: إن العشّارين والبغايا يتقدمونكم إلىٰ ملكوت الله، فقد جاءكم يوحنّا سالكاً طريق البرّ فلم تؤمنوا به، وأما العشّارون والبغايا فآمنوا به، وأنتم رأيتم فلم تندموا آخر الأمر فتؤمنوا»[3].

---

(١) إنجيل متىٰ: ٣/١٨.

(٢) إنجيل متىٰ: ٥/٢٠.

(٣) إنجيل متىٰ: ٢١/٣٢.

وقال لهم أيضاً: «. . . لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله سينزع منكم ويُعطىٰ لأمّةٍ تثمر ثمره»[١].

وقد خاطبهم مرّة فقال لهم: «الويل لكم أيها الكتبة والفريسيّون المراؤون فإنكم تقفلون ملكوت السمٰوات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون ولا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون»[٢].

«الويل لكم يا علماء الشريعة قد استوليتم على مفتاح المعرفة فلم تدخلوا أنتم والذين أرادوا الدخول منعتموهم»[٣].

إنهم قطاع طريق عباد الله السائرين إليه، فلا هم صالحون يدخلون ملكوت الله ولا يتركون الناس تسير في طريق الصلاح كي تحصل على الأرضيّة التي تؤهلهم للدخول في دولة الله عزّ وجلّ، فيما احتلّوا موقع المعرفة التي هي بداية الصلاح والهداية، ولذا قال المسيح للجموع المحتشدة لسماع مواعظه ولتلاميذه: «إن الكتبة والفريسيين على كرسي موسىٰ جالسون فافعلوا ما يقولون لكم واحفظوه ولكن أفعالهم لا تفعلوا لأنهم يقولون ولا يفعلون، يحزمون أثقالاً ثقيلة ويقلونها على أكتاف الناس ولكنهم يأبون تحريكها بطرف الإصبع وجميع أعمالهم يعملونها لينظر الناس إليهم. . .»[٤].

لقد طلب المسيح من أتباعه أن يترفعوا عنهم ويسبقوهم على طريق الإيمان والبر والصلاح كشرط أساس للقبول في دولة الحق وملكوت الله عزّ وجلّ، هذا بالإضافة إلىٰ شرط العمل بالشريعة فقال لتلاميذه: «ليس من يقول لي: يا رب، يا رب (أي: المربي) يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل بمشيئة أبي (أي ربّي) الذي في السماوات»[٥].

---

(١) إنجيل متىٰ: ٢١/٤٦.

(٢) إنجيل متىٰ: ٢٣/١٤.

(٣) إنجيل لوقا: ١١/٥٢.

(٤) إنجيل متىٰ: ٢٣/١٣.

(٥) إنجيل متىٰ: ٧/٢١.

فالانتماء إلىٰ النبي أو الدين ظاهرياً لا ينفع إن لم يكن معه عمل بأحكام الله عزّ وجلّ، فالإيمان قول وعمل، ولا يعدّ مسيحياً من يقول: إني مسيحي أو ينادي باسم المسيح في حين أنه لا يعمل بما جاء به المسيح، وقد أوضح ذلك المسيح لتلاميذه فقال: «فمثل من يسمع كلامي هذا فيعمل به كمثل رجل عاقل بنىٰ بيته على الصخر فنزل المطر وسالت الأودية وعصفت الرياح فثارت على ذلك البيت فلم يسقط لأن أساسه على الصخر.

ومثل من سمع كلامي هذا فلم يعمل به كمثل رجلٍ جاهل بنىٰ بيته على الرمل فنزل المطر وسالت الأودية وعصفت الرياح فضربت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه شديداً»[1].

وأخيراً إن «ملكوت الله» سيكون جنة للفقراء والجائعين والباكين مما يلحقهم من ظلم الظالمين وجشعهم قبله.

قال المسيح لتلاميذه: «طوبىٰ لكم أيها الفقراء فإن لكم ملكوت الله طوبىٰ لكم أيها الجائعون الآن فسوف تشبعون، طوبىٰ لكم أيها الباكون الآن فسوف تضحكون»[2].

إنه حكم ليس فيه طبقية ولا نهب ولا استغلال بل الجميع يتمتعون فيه بلوازم العيش الكريم والفضل والزيادة على قدر السعي والعمل.

فالفقراء الصالحون في ملكوت الباطل سيفرحون في ملكوت الله، والجائعون في ملكوت الشيطان سيشبعون في حكومة الله، والباكون في ملكوت الأنظمة الوضعيّة سيضحكون فرحاً في دولة الله القدسيّة.

إن ملكوت الله سيكون جنّة الله في الأرض، وكيف لا والقائد مرتبط بالله عزّ وجلّ بقدرة وسلطان، والنظام قائم على ما بعثه الله للإنسان من قوانين تنسجم مع طبيعته وطبيعة الحياة والكون، والشعب ذو أفراد تم انتقاؤهم ضمن مواصفات خاصة.

أما أهل الباطل فسيحرمون من دخول ملكوت الله وسيتحول نعيمهم

---

(١) إنجيل متىٰ: ٧/ ٢٤ إلىٰ ٢٦.

(٢) إنجيل لوقا: ٦/ ٢٠ و٢١.

إلىٰ شقاء وضحكهم إلىٰ بكاء، وقد خاطبهم المسيح بعد أن جمعهم تحت اسم «الأغنياء» كما كان الحال في زمانه فقال لهم: «لكن الويل لكم أيها الأغنياء فقد نلتم عزاءكم، الويل لكم أيها الشباع فسوف تجوعون، الويل لكم أيها الضاحكون الآن فسوف تحزنون وتبكون»[1].

إن ملكوت الله سيكون محكمة الله المصغرة في الدنيا قبل يوم القيامة فينال الظالم جزاءه والمظلوم حقّه، وسيكون حزناً للطواغيت والاستغلاليّين.

وستنقلب الموازين في ملكوت الله، أو بالأحرىٰ ستعود إلىٰ حالتها الصحيحة فالخير والسعادة للحق وأهله، والشر والتعاسة للباطل وأهله، ولا ظلم في حكومة الله ودولته، بل العدل، والمساواة، وإعطاء الحقوق ورفع المظالم، ونصرة المظلومين والمضطهدين والمحرومين.

وسوف لا نجد في ملكوت الله فقيراً ولا بائساً ولا حزيناً ولا مظلوماً ولا حائراً تائهاً، بل الجميع في خير وسعادة وتكافل ومحبة وصلاح وهداية وغنىٰ للروح، فطوبىٰ لمن أدرك ذلك اليوم كما قال المسيح: «طوبىٰ لفقراء الروح فإن لهم ملكوت السماوات، طوبىٰ للودعاء فإنهم برثون الأرض»[2].

وهي عطاء الله لهم، وقد وعدهم أن يسلّمهم الأرض لأنهم الصالحون لإدارتها وفق نظامه ودينه.

وهذا الوعد الإلهي قديم بقدم الإنسان والأنبياء والصالحين، وقد قال الله تعالىٰ في القرآن الكريم: **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**[3].

وفي آية أخرىٰ: **﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[4].

ثم قال المسيح: «طوبىٰ للمحزونين فإنهم يعزّون».

---

(١) إنجيل لوقا: ٦/ ٢٤ و٢٥.

(٢) إنجيل متىٰ: ٤/ ٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٥.

إن دولة الحق ستكون عزاء للمحزونين المظلومين والمضطهدين، فهي خاتمة السوء الذي يعيشونه وفيها دواء جروحهم.

وقال: «طوبىٰ للجياع والعطاش للبرّ فإنهم يشبعون».

إن للتوّاقين للخير والمحبين للصلاح والعطاشىٰ للبرّ والهداية نفوس صافية طاهرة تسعىٰ إلىٰ الكمال والحق والنور، رافضة للظلمات، ظلمات الجهل والضلال والانحراف فطوبىٰ لهم في ملكوت الله حيث الحق والهداية والصلاح والكمال.

وأيضاً قال: «طوبىٰ للرحماء فإنهم يُرحمون».

فهو يوم جزائهم الأصغر، يوم الجوائز الدنيويّة، فبركة أعمالهم سيرونها رحمة نازلة على قلوبهم في دولة رحيمة مرتبطة برحمة الله المطلقة.

وقال: «طوبىٰ لأطهار القلوب فإنهم يشاهدون الله».

إنها رؤية القلب لا رؤية العين فالله عزّ وجلّ أسمىٰ من أن تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فبعين القلب التي تدرك ما لا يدركه البصر سيشاهدون الله وآياته وألطافه بأعين قلوبهم لأنها طاهرة لا غشاوة فيها، فطوبىٰ لأطهار القلوب ملكوت الله وحكمه، لأن الذي يملك قلباً طاهراً ويرىٰ حاكماً مرتبطاً بالله ويرىٰ نظاماً إلهياً يحكم الأرض تظهر فيه الحكمة والرحمة الإلهية، ولا يسمع ولا يشاهد إلا ما يذكّره بالله فإنه سيرىٰ الله بقلبه الطاهر.

ثم قال: «طوبىٰ للساعين إلىٰ السلام فإنهم أبناء الله يُدعون».

والسلام من صفات ملكوت الله وحكمه العامة فهو السلام في كل شيء، سلام في الأمن، وسلام في العمل، وسلام في المعاملة، وسلام في العلاقات الاجتماعيّة، وسلام في القول، وسلام في الحكم.

فطوبىٰ للساعين إلىٰ السلام في ملكوت الله ودولته فإن لهم درجة خاصة ومقاماً محموداً فيه حيث سينسبون إلىٰ الله تكريماً لهم[1] لأنه هو

---

(١) لا ولادة كما هو ظاهر اللفظ وهذا من أدلة أن «ابن الله» في الإنجيل يُراد به النبوّة التكريمية وليست الولادية النسبيّة.

السلام ومنه السلام ومن أسمائه الحسنىٰ «السلام».

وأخيراً قال: «طوبىٰ للمضطهدين على البرّ فإن لهم ملكوت الله».

إن الإضطهاد لم يفتأ يلاحق المؤمنين والأبرار على مرّ التاريخ لأنهم الخطر الحقيقي على الظلم والظالمين، وهم الكابوس الثقيل الذي لا يغيب عن أحلام الطواغيت حتىٰ لو لم يقوموا بشيء، فهم بنظرهم خطر كامن لا يُعرف متىٰ ينفجر فيدمّر عروشهم، ولذا لم يسلم الأبرار منهم على مرّ التاريخ حتىٰ الأنبياء والأولياء ولكن عندما يظهر ملكوت الله، ويُطبق حكم الله في الأرض سيكون الشرف والغلبة والنجاة من الظلم للمضطهدين على البرّ فطوبىٰ لهم يومئذ.

كان هذا وصفاً عاماً واستعراضاً يتعلق بمسألة «ملكوت الله» من حيث المواصفات والشروط في قيامه والدخول فيه وأنه الهدف من عودة المسيح إلىٰ الأرض حيث سيكون له دور أساسي في إقامته ونجاحه مما جعل اللطف الإلهي أن يدخّر المسيح في السماء لأجله، أما متىٰ سيأتي؟ وما هي العلائم السابقة لنزوله التي ذكرها لتلاميذه ولأتباعه؟ فهذا ما سنسلّط الضوء عليه.

وقت العودة والعلائم

إن عودة المسيح إلىٰ الأرض ثانية ومساهمته في إقامة «ملكوت الله» ستكون في آخر الزمان وقبل يوم القيامة دون أن يُعرف اليوم والسنة على التحديد ـ كما سيأتي ـ بل سيكون مجيئه بغتة.

وذلك لأن «حكم الله» في الأرض إذا قام بشكله الصحيح قيادةً وأداءً لا يمكن أن يفشل أو يسقط[1] فهو صنع الله الذي اتقن كل شيء، ومن هنا كان وقته في آخر الزمان حيث ستقضي البشرية المهلة اللازمة لرشدها خلال التاريخ وإدراكها ضرورة هذا الحكم وأن لا ملجأ لها ولا خلاص إلا بالعودة إلىٰ الله ودينه، فتأتي المرحلة الأخيرة التي يبلغ فيها النضج البشري غايته ليتعاضد مع مشروع «ملكوت الله» و«حكم الله» في أرضه فيشكل أروع مرحلة في التاريخ الإنساني وتتحقق السعادة المنشودة ويصل الله عزّ وجلّ إلىٰ أهدافه من خلق البشرية ثم بعدها يأتي يوم القيامة فيرجع كل حق لصاحبه ويعاقب الظالم والمعتدي ويُكافأ المؤمنون والصالحون لسعيهم في نصرة الله على الأرض.

يقول المسيح عن وقت قيام ملكوت الله في آخر الزمان: «والذي يثبت إلىٰ النهاية فذاك الذي يخلص، وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور

---

(١) راجع «دولة المهدي».

كلّه شهادة[1] لدىٰ الوثنيّين أجمعين وحينئذ تأتي النهاية»[2].

والنهاية هي إقامة الملكوت الإلهي على الأرض عند نهاية الزمن ونهاية العذاب الإنساني ونهاية المخطط الإلهي على الأرض، تقول الرهبانية اليسوعية في ذلك: «أي نهاية التدبير الإلهي الحاضر وإقامة ملكوت الله على وجه نهائي»[3] لا رجعة فيه ولا اختلال.

ومع أن وقت قيام «ملكوت الله» وعودة المسيح لم يحدد باليوم والشهر والسنة إلا أن هناك علائم تنبّأ المسيح بحدوثها قبل ذلك الوقت بما يمكن الاستدلال به على قرب حدوثه، منها ما روىٰ القديس متىٰ في إنجيله[4] حيث قال:

وخرج يسوع من الهيكل فدنا إليه تلاميذه وهو سائر يستوقفون نظره على أبنية الهيكل فأجابهم: «أترون هذا كلّه! الحق أقول لكم: لن يُترك هنا حجر على حجر من غير أن يُنقض.

وبينما هو جالس في جبل الزيتون دنا منه تلاميذه فانفردوا به وسألوه: قل لنا متىٰ تكون هذه الأمور؟ وما علامة مجيئك ونهاية العالم؟»[5].

لقد كان الحديث الذي يسمعه التلاميذ من المسيح وباستمرار هو مجيئه في نهاية الزمن وعلائم هذا المجيء، فذكر له علامة هنا وهي خراب الهيكل وقد حدث ذلك في التاريخ.

ثم لنرَ ما أجابهم حول علائم مجيئه في آخر الزمان:

«فأجابهم يسوع: إياكم أن يُضلّكم أحد! فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي يقولون: أنا هو المسيح، ويضلّون أناساً كثيرين».

يشمل تحذير المسيح هذا من سيدّعي أنه المسيح بشخصه بعد أن تتضح أكثر علائم المجيء وتزيد حالة الترقب لنزوله من السماء، كما ويمكن

---

(١) أى حجة عليهم.

(٢) إنجيل متىٰ: ٢٤/ ١٣ و١٤.

(٣) الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص١٠٣ طبع دار المشرق بيروت سنة ١٩٩١.

(٤) إنجيل متىٰ: ٢٤.

(٥) إنجيل متىٰ: ٢٤/ ١ ـ ٣.

أن تشمل دعوات التضليل باسم المسيح كما حدث منذ ارتفاعه إلىٰ السماء وإلىٰ اليوم، وما أعمال الكنيسة في العصور الوسطىٰ إلا أوضح مثال على ذلك، وكم من مدّع أنه على خُطىٰ السيد المسيح عليه السلام أو أنه تراءىٰ له وحمّله التعاليم من دون دليل!

ثم قال لتلاميذه: «وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب فإياكم أن تفزعوا فلا بدّ من حدوثها».

إن هذه الحروب والإشاعات عنها والخوف منها سيؤدي إلى تطلّع المجتمع البشري نحو الخلاص مما يمهّد الأجواء العالمية ليوم الخلاص بقيام ملكوت الله في الأرض.

وهذه الحروب ليست الحرب الكبيرة المتوقعة التي يكون الخلاص على أثرها، بل هي حروب إقليمية أو عالمية أولىٰ وثانية ينتج عنها احتلالات واستعمار. يقول المسيح: «ولكن لا تكون النهاية عندئذ فستقوم أمة على أمّة ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة وهذا كلّه بدء المخاض» الذي سينتهي بالولادة الجديدة للحياة على الأرض بقيام الحكم الإلهي في أرجائها.

ثم كرّر المسيح تحذيره للمؤمنين من مدّعي النبوّة فقال: «ويظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلّون أناساً كثيرين».

تقول الرهبانية اليسوعيّة: يشدّد متىٰ على نشاط «المسحاء الدجالين» وقد ألقوا البلبلة في الكنيسة منذ أواخر القرن الأول[1].

ثم يضيف المسيح قائلاً: «ويزداد الإثم، فتفتر المحبّة في أكثر الناس».

انحراف عام عن الدين الإلهي وعن الأحكام السماوية والأخلاق وانتشار الظلم والفساد في أرجاء المعمورة وفي ذلك امتحان شديد للمؤمنين حيث يقول المسيح بعد ذلك: «والذي يثبت إلىٰ النهاية فذاك الذي يخلص».

إن الثبات على الدين وعلى الحق هو السبيل إلى النجاة، ومن يتخطىٰ

---

(١) الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ص١٠٣ طبع سنة ١٩٩١.

الإمتحانات والابتلاءات ويبقىٰ صامداً إلىٰ النهاية فذاك هو الفائز المخلص.

ويضيف المسيح: «وستعلن بشارة الملكوت هذه في المعمور كلّه شهادة لدىٰ الوثنيين أجمعين وحينئذ تأتي النهاية».

ثم يقول: «فإذا رأيتم المخرّب الشنيع[1] الذي تكلّم عنه النبي دانيال قائماً في المكان المقدس (ليفهم القارىء) فليهرب إلىٰ الجبال من كان عندئذ في اليهودية[2]، ومن كان على السطح فلا ينزل ليأخذ ما في بيته، ومن كان في الحقل فلا يرتدّ إلىٰ الوراء ليأخذ رداءه، الويل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام... فستحدث عندئذ شدّة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء الخليقة إلىٰ اليوم ولن يحدث».

إنها حرب كبيرة جداً تستخدم فيها ـ على ما يظهر ـ أسلحة نوويّة مدمّرة لم يحدث أن استعملت منذ بدء التاريخ إلىٰ ذلك اليوم، ولما ستحدثه من دمار بشري، ولقيام دولة الحق على أثرها فلن تحدث في مستقبل تلك الأيام أيضاً.

إنها الحرب العالمية الثالثة والأخيرة ـ كما هو متوقع ـ فإنها ستكون مدمّرة يذهب فيها الكثير من سكان الكرة الأرضية ضحيّةً للطغيان الدولي والانحراف عن الدين والأخلاق والابتعاد عن الله عزّ وجلّ، وعندها ستندم البشرية وتعرف أن خلاصها مع الدين والإيمان بعيداً عن الأنظمة الوضعية.

وهذه الحرب يجب أن لا تطول لأنها ستدمّر الجميع وتهلك الحرث والنسل ولذا اقتضىٰ اللطف الإلهي أن تكون في أيام قصيرة خاطفة كما وصفها المسيح: «ولو لم تقصّر تلك الأيام لما نجا أحد من البشر، ولكن من أجل المختارين ستقصّر تلك الأيام».

أي أنها ستكون خاطفة كي لا يهلك فيها المختارون وهم المؤمنون والصالحون.

ثم يتابع المسيح وصف ما يكون بعد هذه الحرب حيث سيتوقع الناس ظهور المخلّص كلّ بما ورد عنده فالمسيحيون سينتظرون نزول المسيح من

---

(١) تقول الرهبانية اليسوعية: الترجمة اللفظية «قباحة الخراب».

(٢) أي القدس أو عموم فلسطين.

السماء، فيما سيتوقع المسلمون ظهور الإمام المهدي، ولأجل ذلك ستنطلق دعوات في الأوساط المسيحيّة عن هبوط سرّي مزعوم له فنبّه المسيح على ذلك محذّراً فقال: «فإذا قال لكم عندئذ أحد من الناس: ها هو ذا المسيح هنا، بل هنا، فلا تصدقوه، فسيظهر مسحاء دجّالون وأنبياء كذّابون يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب حتىٰ أنهم يضلّون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر، فها إنّي قد أنبأتكم».

ثم يتابع قائلاً: «فإن قيل لكم: ها هو ذا في البريّة فلا تخرجوا إليها، أو: ها هو ذا في المخابىء، فلا تصدقوا».

ثم يتحدث عن مجيء «ابن الإنسان» الذي يعتقد المسيحيون أنه هو المسيح نفسه فيكون حديثه عن نفسه وهذا غريب عن سياق العبارات، ونحن نعتقد أنه الإمام المهدي الذي ينتظره المسلمون كما سنثبت ذلك في فصل لاحق.

يقول المسيح: «وكما أن البرق يخرج من المشرق ويلمع حتىٰ المغرب فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان».

شبه المسيح مجيء الإمام المهدي ـ على ما سنثبت ـ في سرعته ومباغتته بالبرق الذي يخرج من المشرق إلىٰ المغرب بسرعة خاطفة وقد ورد تشبيه مماثل عن النبي محمدﷺ حيث قال: «المهدي من ولدي... تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم ثم يُقبل كالشهاب الثاقب ويملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1].

إنهما نبيّان يستقيان علومهما من منبع واحد، ويتحدثان عن أمر واحد فكيف لا يتطابق القولان!

ثم يقول المسيح: «وعلى أثر الشدّة في تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يُرسل ضوءه».

كسوف وخسوف يسبق نزول المسيح وقيام الملكوت يأتي بعد تلك الشدّة أو بسببها، ويبدو أنهما سيكونان بشكل غير عادي استحقّ الذكر والتخصيص وإلا فكم خسوف وكسوف حدثا ويحدثان في التاريخ.

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٣/٧٢ عن إكمال الدين.

ثم يضيف المسيح: «وتتساقط النجوم من السماء».

وهي الشهب حيث ستتساقط بكثرة ملحوظة في تلك الأيام.

وأيضاً: «وتتزعزع قوّات السماوات».

وهذه إشارة إلىٰ حرب جويّة، وسنشرح ذلك في نص القديس لوقا الأكثر تفصيلاً في هذا الموضوع.

ويضيف: «وتظهر عندئذ في السماء آية ابن الإنسان».

وهذه الآية السماوية تتعلّق بابن الإنسان وسنذكرها في الفصل المعدّ له.

ثم يتحدث المسيح عن أثر هذه الآية السماوية فيقول: «فتنتحب جميع قبائل الأرض، وترىٰ ابن الإنسان آتياً على عمام السماء في تمام العزّة والجلال».

لقد فهم المسيحيون من هذا النص أن القادم هو المسيح نفسه حيث ينزل من السماء في حين أن العبارة تناسب الإمام المهدي أيضاً ـ كما سنبيّن ذلك ـ وفيها إشارة للطائرة التي تسير في الغمام.

ثم يتحدث المسيح لا عن نفسه بل عن ابن الإنسان فيقول: «ويُرسل ملائكته ومعهم البوق الكبير فيجمعون الذين اختارهم من جهات الرياح الأربع، من أطراف السماوات إلىٰ أطرافها الأخرىٰ».

هؤلاء المختارون عدّة معنية تم انتخابهم من كافة أطراف الأرض وسيحضرون بطريقة إعجازية أو متطورة جداً، ولكن إلىٰ أين؟ إن هذا الموضوع واضح جداً لو رأيناه في المصادر الإسلامية التي تتحدث عن الإمام المهدي وجمعه لأصحابه من أطراف الأرض ليكونوا في مكّة منطلق ثورته وسنشير إليه في فصول لاحقة.

ثم يتحدث المسيح عن انتظار دولة الله وملكوت الله وترقّب ذلك: «من التينة خذوا العبرة، فإذا لانت أغصانها ونبتت أوراقها علمتم أن الصيف قريب، وكذلك أنتم إذا رأيتم هذه الأمور كلّها فاعلموا أن ابن الإنسان قريب على الأبواب».

ثم يشير إلىٰ حتميته هذه الأمور فيقول: «الحق أقول لكم: لن يزول هذا الجبل حتىٰ تحدث هذه الأمور كلها، السماء والأرض تزولان وكلامي لن يزول».

إنه الحق والحتم الإلهي في المسيرة البشرية على الأرض، فلو أمكن أن تزول السماء والأرض لزالتا ولكن هذا الأمر لن يزول.

ولكن متىٰ سيحدث هذا الظهور المبارك، في أي ساعة وأي يوم؟ يقول المسيح: «فأما ذلك اليوم وتلك الساعة فما من أحدٍ يعلمها، لا ملائكة السموات ولا الإبن إلا الأب (أي: الرب) وحده».

ثم يؤكد المسيح على عنصر المفاجأة والمباغتة في أمر نزوله وقيام ملكوت الله وظهور ابن الإنسان فيقول: «وكما كان الأمر في أيام نوح فكذلك يكون عند مجيء ابن الإنسان، فكما كان الناس في الأيام التي تقدمت الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوّجون بناتهم إلىٰ يوم دخل نوح السفينة، وما كانوا يتوقعون شيئاً حتىٰ جاء الطوفان فجرفهم أجمعين، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان.

يكون عندئذ رجلان في الحقل فيقبض أحدهما ويُترك الآخر، وتكون امرأتان تطحنان بالرحا فتقبض إحداهما وتترك الأخرىٰ.

فاسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون أي يوم يأتي ربكم (أي المربّي والقائد) وتعلمون أنه لو عرف رب البيت أي ساعة من الليل يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته يُنقب، لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدّين ففي الساعة التي لا تتوقعونها يأتي ابن الإنسان».

ثم يضرب المسيح المثل لأصحابه عن غيبة ابن الإنسان التي ستطول ويُستبطأ فيها ظهوره، وبعد ذلك يستمر في وصف الظهور المفاجيء لملكوت الله بعد غيبة طويلة وفوز المؤمنين حينها وخسارة وهلاك الكافرين والمنحرفين فيقول: «عندئذ يكون مثل ملكوت السمٰوات كمثل عشر عذارى أخذن مصابيحهنّ وخرجن للقاء العريس، خمس منهنّ جاهلات وخمس عاقلات، فأخذت الجاهلات مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتاً وأما العاقلات فأخذن مع مصابيحهن زيتاً في آنية، وأبطأ العريس، فنعسن جميعاً ونمن، وعند نصف الليل علا الصياح: هو ذا العريس فأخرجن للقائه!

فقام أولئك العذارىٰ جميعاً وهيّأن مصابيحهنّ فقالت الجاهلات للعاقلات: أعطينا من زيتكنّ فإن مصابيحنا تنطفيء.

فأجابت العاقلات: لعلّه غير كافٍ لنا ولكنّ، فالأولىٰ أن تذهبنّ إلىٰ الباعة وتشترين لكنّ.

وبينما هن ذاهبات ليشترين وصل العريس، فدخلت معه المستعدّات إلىٰ ردهة العُرس وأغلق الباب.

وجاءت آخر الأمر سائر العذارىٰ فقلن: يا رب، يا رب، افتح لنا.

فأجاب: الحق أقول لكنّ: إني لا أعرفكنّ!

فاسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون اليوم والساعة».

ثم يعرض المسيح موضوع الفصل بين المؤمنين والمنحرفين والمجازاة لهم في ملكوت الله وعلى يد ابن الإنسان ضمن تصوير رمزي فيقول: «وإذا جاء ابن الإنسان في مجده تواكبه جميع الملائكة يجلس على عرش مجده (أي: دولته) وتحشر لديه جميع الأمم، فيفصل بعضهم عن بعض كما يفصل الراعي الخراف عن الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا من باركهم أبي (أي: ربي) فرثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم...»[1].

ومما نقله القديس لوقا في إنجيله في عدم معرفة وقتٍ لظهور دولة الحق قوله: وسأله الفريسيّون: متى يأتي ملكوت الله؟

والفريسيّون ـ كما ذكرنا ـ هم رجال الدين اليهود الذين كانوا يمارسون الدجل في قيادة بني إسرائيل، وكان موضوع مجيء ملكوت الله يحوز على اهتمامهم جداً.

تقول الرهبانية اليسوعية: إن تاريخ مجيء ملكوت الله هو المسألة الكبرىٰ في الدين اليهودي المعاصر (راجع دانيال ٩/ ٢) فالربانيّون وكتب الرؤىٰ يبحثون عن علامات تمكّن من تحديده[2].

فأجابهم: «لا يأتي ملكوت الله على وجه يُراقب»[3].

---

(١) إنجيل متىٰ: ٢٤/ ٤ ـ ٢٥/ ٢٦، وراجع إنجيل مرقس: ١٣/ ١ ـ ٣٧.

(٢) الكتاب المقدس ـ طبع الرهبانية ـ إنجيل لوقا: ٢٥٢.

(٣) إنجيل لوقا: ١٧/ ٢٠.

وذكر القديس لوقا أيضاً حديث المسيح مع تلاميذه عندما حدّثهم بخراب الهيكل وسألوه على علائم مجيء ملكوت الله، وكان مما رواه قوله: «وإذا سمعتم بالحروب والفتن فلا تفزعوا فإنه لا بدّ من حدوثها أولاً ولكن لا تكون النهاية عندئذ».

ثم قال لهم: «ستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتحدث زلازل شديدة وأوبئة ومجاعات في أماكن كثيرة، وستحدث أيضاً مخاوف تأتي من السماء وعلامات عظيمة»[1].

وروىٰ أيضاً حديث المسيح عن علائم ظهور ملكوت الله فقال: «وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم، وعلى الأرض كرب أمم بحيرة».

هذا وصف لما سيكون عليه شعوب العالم قرب يوم الظهور من الكرب والحيرة، وسبب ذلك: «البحر والأمواج تضج».

ومن الواضح أنه لا يراد بذلك تموّج مياه البحار نتيجة العواصف الطبيعيّة التي تحدث دائماً ضمن الظروف الطبيعية لها، فهذا لا يستحق الإشارة إليه من قبل آلاف السنين، بل المراد حروب كبيرة ستكون في البحار أيضاً سواء على سطحها أو في أعماقها.

«والناس يُغشىٰ عليهم من خوف، وانتظار ما يأتي على المسكونة».

إنها أحداث مخيفة تهدد الكرة الأرضية جمعاء تصيب الناس بالذعر والحيرة والترقّب، ما من شيء يهدد المسكونة وأهلها إلا الأسلحة النوويّة الفتّاكة وأسلحة الدمار الشامل وخصوصاً الجويّة منها من صواريخ وطائرات، ولذا يعلل المسيح هذا الخوف العام للناس فيقول: «لأن قوّات السماوات تتزعزع».

هذا هو سبب ذعر الناس وحيرتهم، إنها معارك تقع بين قوّات السماوات تستعمل فيها الصواريخ النوويّة والطائرات حاملة القنابل الذريّة، أما

---

(١) إنجيل لوقا: ٢١/٩ ـ ١١.

المدفع والدبابة والأسلحة الأخرىٰ فهي لا تسوق الناس إلىٰ هذه الدرجة من الرعب والخوف مما سيحل بالمسكونة كلها!

ولذا تلوح في عبارات المسيح هذه معالم حرب عالميّة مدمّرة، ولعلها هي الحرب العالمية الثالثة المتوقعة.

ثم يتحدث المسيح عمّا يعقب هذه العلامات فيقول: «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوّة ومجدٍ كثير».

ويعود إلىٰ الحديث عن علائم قيام ملكوت الله فيقول: «ومتىٰ ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب»[1].

عندما تبدأ هذه العلامات بالتحقق فليستبشر الناس ويرفعوا رؤوسهم متطلعين إلىٰ يوم النجاة والخلاص الذي سيكون قريباً حينئذٍ.

ثم ضرب لهم مثلاً لهذه العلامات فقال: «انظروا إلىٰ التينة وسائر الأشجار، فما أن تخرج براعمها حتىٰ تعرفوا بأنفسكم من نظركم إليها أن الصيف قريب، وكذلك أنتم إذا رأيتم هذه الأمور تحدث فاعلموا أن ملكوت الله قريب»[2].

وقال لهم: «فاحذروا أن يثقل قلوبكم السكر والقصوف وهموم الحياة الدنيا فيباغتكم ذلك اليوم كأنه الفخ، لأنه يطبق على جميع من يسكنون وجه الأرض كلها، فاسهروا مواظبين على الصلاة لكي توجَدوا أهلاً للنجاة من جميع هذه الأمور التي ستحدث، وللثبات لدىٰ ابن الإنسان»[3].

إلىٰ هنا رأينا تأكيد المسيح على ملكوت الله ومجيئه وعودته من السماء ومجيء ابن الإنسان ووجوب الاستعداد لذلك اليوم الذي يأتي بغتة وكل هذا فتح موضوع انتظار عودة المسيح وهو ما سنبعثه في الفصل الآتي.

---

(١) إنجيل لوقا: ٢١/ ٢٥ ـ ٢٨ (طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط).

(٢) إنجيل لوقا: ٢١/ ٢٩ ـ ٣١.

(٣) إنجيل لوقا: ٢١/ ٣٤ ـ ٣٦.

انتظار عودة المسيح

بعد أن جاءت بشائر الأنبياء السابقين بقرب قيام «ملكوت الله» كالنبي يحيىٰ عليه السلام كما ذكرنا وكما يقول القديس لوقا في إنجيله: «دام عهد الشريعة والأنبياء حتىٰ يوحنا (أي: يحيىٰ) ومن ذلك الحين يُبشّر بملكوت الله»[1].

وما قام به المسيح من التبشير به وبقرب حدوثه وحتميته وعلائم قيامه وأنه لا يأتي إلا بغتة ـ كما تقدم ـ كل ذلك ولّد لدىٰ المؤمنين المسيحيين حالة من الترقب والانتظار لهذا الملكوت.

يقول القديس لوقا في إنجيله عند ذكره تفاصيل محاكمة المسيح من قبل اليهود الذين علموا أن المسيح هو من سيقيم هذا الملكوت وكانوا يأملون أن يكون منهم بل يصرون علىٰ ذلك فلما خرج من غيرهم وبعيداً عن وجودهم الديني المزيّف وما يعني من ذهاب سلطتهم وقيام حكم جديد لا يخضع لهم قبضوا عليه وأخضعوه للمحاكمة، يقول القديس لوقا: «وجاء رجل اسمه يوسف، وهو عضو في المجلس، وامرؤ صالح بار، لم يوافقهم على قصدهم وَلا عملهم، وكان من الرامَة وهي مدينة لليهود، وكان ينتظر ملكوت الله...»[2].

---

(١) إنجيل لوقا: ١٦/١٦.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٣/٥٠ و٥١ ـ ومتىٰ: ٢٧/٥٧ إلىٰ ٦١ ـ ومرقس: ١٥/٤٢ إلىٰ ٤٧ ـ ويوحنا: ١٩/٣٨ إلىٰ ٤٢.

فالمؤمنون في عهد المسيح بدأوا ينتظرون ذلك اليوم الذي يكون فيه ملكوت الله في الأرض إيماناً منهم بقول المسيح وبشارته وإخباره عمّا سيكون فيه من خير وصلاح.

وقد وصفهم القديس لوقا في إنجيله قائلاً: «وكانوا يظنون أن ملكوت الله يوشك أن يظهر في ذلك الحين»[1].

وهكذا خلال التاريخ توارث المؤمنون بالمسيح حالة الانتظار لعودته وهم إلىٰ اليوم يدعون في صلاة يوم الأحد وفي غيرها بالدعاء الذي علّمهم إياه المسيح نفسه والذي يشير فيه إلىٰ الدولة الإلهية المرتقبة والمنتظرة التي ستأتي في النهاية حيث قال لهم: «متىٰ صلّيتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات (أي: ربنا) ليتقدس اسمك، ليأتي ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»[2].

ومع وجود هذه الحالة العامة في الانتظار المسيحي برز توجه أوضح بالانتظار مع بروز الحركة الإصلاحية المسيحية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي حيث تم الرجوع إلىٰ العهد القديم «ليس فقط على أنه أكثر الكتب شهرة ولكن علىٰ أنه المرجع الوحيد لمعرفة التاريخ العام».

«إن محبي الكتاب المقدس من المسيحيين بدأوا ينظرون إلىٰ العهد القديم على أنه التاريخ الوحيد الجديد في الشرق الأوسط».

«وفي عام ١٦٥٥ أعلن البروتستانتي الألماني بول فلجن هوفر أن اليهود سوف يعترفون بالمسيح على أنه مسيحهم بمناسبة مجيئه الثاني وكتب في كتابه (أخبار جيدة لإسرائيل) إنه مما يثبت ذلك ـ عودة المسيح ـ العودة الدائمة لليهود إلىٰ بلدهم».

«وفي عام ١٨٣٩ حث اللورد أنطوني أشلي كوبر جميع اليهود على الهجرة إلىٰ فلسطين».

«نظر اللورد كوبر إلىٰ اليهود على أنهم يلعبون دوراً رئيسيّاً في الخطة

---

(١) إنجيل لوقا: ١١/١٩.

(٢) إنجيل لوقا: ٢/١١.

الإلهية حول المجيء الثاني للمسيح، وكما فسر النصوص فإن المجيء الثاني للمسيح سيتحقق فقط عندما يكون اليهود يعيشون في إسرائيل المسترجعة، انطلاقاً من اعتقاده بأن عليه مساعدة الله لتحقيق الخطة الإلهية بنقل جميع اليهود إلىٰ فلسطين»[1].

بدأ النصارىٰ البروتستانت في الغرب منذ بدايات القرن السابع عشر يعتقدون أن عودة اليهود إلىٰ فلسطين شرط لتحقيق المجيء الثاني للمسيح، وأن مساعدة اليهود في ذلك يعجل بمجيئه الذي يحمل معه الخلاص والسلام فقد ساد الاعتقاد أن النصارىٰ المخلصين سوف يعيشون مع المسيح ألف سنة في رغد وسلام قبل يوم القيامة طبقاً لسفر رؤيا يوحنا اللاهوتي.

ولا مانع من صحة هذه التنبوءات على أساس أنها إخبار من الله عزّ وجلّ جاء لأنبياء بني إسرائيل بما سيحدث في مستقبل التاريخ لا على أنه أمر وإرادة إلهية يجب أن يسعىٰ الجميع لتحقيقها وإن كان على حساب قتل شعب كامل وتشريده واضطهاده وإنما سبق علمه بتحقق ذلك فنبّه عليه.

وقد ورد في مصادرنا الإسلامية ما يؤيده حيث سيُقتل اليهود في فلسطين قتلاً عاماً في نهاية التاريخ عند ظهور المهدي وإقامته الدولة الإلهية العالمية بالتعاون مع المسيح وهذا يشير إلىٰ تجمعهم هناك قبل الظهور المرتقب.

وعلى أي حال نلاحظ كيف يعيش المسيحيون الانتظار لعودة المسيح الثانية تاريخيّاً وفي زماننا كما سيأتي.

«ففي منتصف القرن السابع عشر قُدّم العديد من الالتماسات والعرائض ومن بينها عريضة قدّمت إلىٰ الحكومة الإنكليزية في عام ١٦٤٩ تحت انكلترا وهولندا لتكونا الأسرع في نقل اليهود إلىٰ فلسطين تقريباً لموعد القدوم الثاني للمسيح»[2].

وفي عام ١٨٩٨ كتب القنصل الأميركي في القدس أدوين شارمن

---

(١) النبوءة والسياسة ـ غريس هالسل ـ ص١٣٦، ١٣٧.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ـ د. يوسف الحسن ـ ص٢٤، ٢٥.

والس: «إن الأرض بالانتظار، والشعب على استعداد للمجيء»[١].

وفي أواخر القرن التاسع عشر «كان القس وليم بلاكستون (١٨٤١ ـ ١٩٣٥م) أبرز دعاة العودة اليهودية إلىٰ فلسطين وكان أول من مارس الضغط السياسي في الولايات المتحدة من أجل تسريع وتسهيل هذه العودة، وكان بشّر بذلك من خلال كتابه: «المسيح آتٍ» الذي صدر في العام ١٨٧٨م والذي تُرجم إلىٰ أكثر من ٤٨ لغة وطبع عدة طبعات وبيع منه أكثر من مليون نسخة وكان أوسع الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر، وقد ربط فيه بين عودة اليهود إلىٰ فلسطين وعودة المسيح إلىٰ الأرض»[٢].

وانتشر مصطلح الأصولية المسيحية ويُطلق على الاتجاهات الدينية المسيحية الملتزمة في الأمور العقائدية والأخلاقية والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد والمقتنعة بأنه يتضمن توجيهات لمجمل الحياة بما في ذلك الشؤون السياسية وبخاصة النبوءات التي تشير إلىٰ أحداث مستقبلية تقود إلى «استعادة إسرائيل» والعودة الثانية للمسيح، واعتبر الأصوليون أن ميلاد إسرائيل في عام ١٩٤٨ في فلسطين هو علامة على اقتراب العودة الثانية للمسيح، ويرتكز هذا الإيمان على الاعتقاد بأن الله كان قد أرسل المسيح لإنقاذ العالم وقد رفضه اليهود في ذلك الوقت وخطة الله تتضمن العودة الثانية للمسيح للتبشير بمملكة الله ـ والأحرىٰ إقامة هذه المملكة في الأرض ـ وعودة اليهود إلىٰ فلسطين هو من أجل تمهيد المكان للمجيء الثاني للمسيح ويدل على أن العودة على وشك الحدوث[٣].

ومنذ السبعينات يشهد العالم الغربي حركة مسيحية جديدة تتركز في الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا وتدعو إلىٰ دعم اليهود في إسرائيل لإعادة سيطرتهم على القدس وإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصىٰ لأن ذلك ـ على ما تعتقد ـ شرط لازم لعودة المسيح.

---

(١) النبوءة والسياسة ـ غريس هالسل ـ ص١٤١.

(٢) الصهيونية المسيحية ـ محمد السمّاك ـ ص٥٨، والبعد الديني في السياسة الأمريكية ـ د. يوسف الحسن ـ ص٤٢.

(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص١٠ إلىٰ ١٢.

ففي ١٩٧٠ أصدر هال ليندسي كتاباً حوّله أيضاً إلى فيلم سينمائي وسمّاه «كوكب الأرض العظيم الراحل» وقد باع منه أكثر من ١٥ مليون نسخة منذ نشره، ويركز فيه على أن أهم إشارة لنهاية التاريخ وعودة المسيح الثانية هي عودة اليهود إلى أرض إسرائيل بعد آلاف من السنين[١].

ولا نستغرب هذا الاهتمام الديني في أمريكا فإن الكنائس تملك وتدير عدّة مئات من المعاهد والكليات والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي عام ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ بلغ عدد معاهد التعليم العالي التي لها صلة بالكنائس ١٩٧٨ معهداً، من بينها ٧٢٢ معهداً تم تنظيمها باستقلالية تامة من قبل الكنائس وبخاصة البروتستانتية منها التي ملكت أكثر من ٤٥٠ معهداً[٢].

وزاد التأثير للكنيسة في المجتمع الأمريكي مع بروز الحركة الأصولية في العقد الأخير وقد انتخبت الولايات المتحدة الأمريكية في هذا العقد رئيسين لها يؤمنان بأهمية الدين في المجتمع الأمريكي، فالرئيس كارتر أعلن عام ١٩٧٦ عن شعاره وإيمانه بعقيدة الولادة ثانية كمسيحي، وبحلول عام ١٩٨٠ كان ثلاثة من المرشحين لرئاسة الجمهورية يرفعون الشعار نفسه، وفي ٢٣/تموز/١٩٨٤ عبّر الرئيس ريغان في خطاب له في مدينة تكساس عن إيمانه بدور الدين في المجتمع الأمريكي رغم الاعتراف الرسمي بمبدأ الفصل بين الدين والدولة، ومما جاء في خطابه: يلعب الدين دوراً حاسماً في الحياة السياسية لأمتنا[٣].

وكان واضحاً أن مسألة الدين قد احتلت الصدارة في مناقشات الحملات الانتخابية لعام ١٩٨٤ سواء على شكل التغطية الصحافية أو التعليقات الإعلامية أو في تأثير ذلك على المجتمع نفسه، وقد سجّلت إحصاءات صناعة الكتب الأمريكية أكبر ظاهرة في شراء الكتب الدينية، ففي عام ١٩٧٩ شكلت مبيعات الكتب الدينيّة أكثر من ثلث مجمل سوق مبيعات

---

(١) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص٨٢.

(٢) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص٧٠.

(٣) المصدر السابق ص٧١.

الكتب، وبيع في عام ١٩٨٤ من الكتب الدينية بحوالي مليار دولار دفع ثمنها حوالي ٣٧ مليون مشترٍ[١].

واحتلت صور نجوم البرامج الدينية المسموعة والمرئية أمثال بيلي غراهام وجيري فولويل صفحات أبرز المجلّات الأسبوعية وأغلفتها وصارت برامجهم الدينية تشدّ المشاهدين أكثر مما تشدّهم البرامج والأحداث الرياضية المشهورة، وصار الدين مسيطراً على الثقافة الأمريكيّة فملكت البرامج الدينية وبخاصة برامج الكنيسة المرئية عقول وقلوب الأمريكيين، وقدرت نسبة الأمريكيين المستمعين والمشاهدين لبرامجها المرئية والمسموعة عام ١٩٨٠ حوالي ٤٧٪ من مجمل السكان[٢].

وتسيطر الحركة المسيحية الأصولية على أغلبية شبكة محطات الكنيسة المرئية والمسموعة ويتلقىٰ نجمان من نجومها وهما جيري فولويل وبات روبرتسون أموالاً أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسيان في الولايات المتحدة الأمريكية وهما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري.

وقد اعتبرت الحركة المسيحية الأصولية أهم ظاهرة سياسية أمريكية في القرن العشرين ولها تأثير كبير على السياسة المعلنة من قبل الحزبين الرئيسين، وتعتبر طوائف البروتستانت التي تشكل غالبية الحركة المسيحية الأصوليّة من أهم الكنائس الأمريكية تأثيراً على السياسة العامة الأمريكية ومن ذلك مسألة دعم إسرائيل وانتظار عودة المسيح الثانية.

وقد انعكس تأثير الحركة المسيحية الأصولية على الرئيس ريغان نفسه فتحدث بعبارات توراتية عن إسرائيل وحقوقها التاريخية في فلسطين وعبّر عن إيمانه باقتراب نهاية العالم وحدوث معركة بين الشر والخير (هرمجّدون)[٣] مشيراً إلىٰ دور إسرائيل في هذه المعركة واقتراب العودة الثانية للمسيح المخلّص[٤].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سيأتي ذكرها.

(٤) نفس المصدر ص٧٦.

هذا وقد شكّلت الأصولية المسيحية منظمات وهيئات عدّة تعمل ضمن إطارها ومن أوائل هذه المنظمات «الفيدرالية الأمريكيّة المؤيدة لفلسطين» التي أسسها القس تشارلز راسل في العام ١٩٣٠م، ومنظمة «اللجنة الفلسطينيّة الأمريكيّة» التي أسسها السناتور روبرت واجنر في العام ١٩٣٢م وضمّت ٦٨ عضواً من مجلس الشيوخ و٢٠٠ عضو من مجلس النواب وعدداً من رجال الدين الإنجيليين ورجال أعمال وأساتذة جامعات وصحافيين وأدباء مشهورين.

وفي سنة ١٩٤٢ تأسست منظمة «المجلس المسيحي لفلسطين» من قبل القساوسة البروتستانت ومن شخصيات مالية وسياسية وحكومية أمريكية بارزة، وكل هذه المنظمات علّمت الناس أن أفضل عمل يقوم به المسيحي تقرباً إلىٰ الله هو المساهمة المادية والمعنوية في تحقيق إرادة الله بإعادة اليهود إلىٰ فلسطين تمهيداً لعودة المسيح[١].

وفي التاسع من أيلول سنة ١٩٧٩ قام القس جورج أوتيس بافتتاح محطة إذاعة صوت الأمل التبشيرية في جنوب لبنان المحتل، وجورج أوتيس هو رئيس منظمة سياسية دينية تسمّىٰ «رعوية المغامرة الكبيرة» وهي واحدة من المنظمات الدينية في الولايات المتحدة التي تؤمن أيضاً بأن قيام إسرائيل هو شرط مسبق لا بد منه لتحقيق النبوءة التوراتية بالعودة الثانية للمسيح[٢].

لقد اتخذت هذه المنظمات والكنائس من الأجهزة الإعلامية العامة بكل ما تتمتع به هذه الأجهزة من تقنية وسعة انتشار منابر لها للوعظ الديني وللإرشاد السياسي وبلغ تأثيرها على صناعة القرار السياسي الأمريكي تجاه القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني حدّ المشاركة في صنع القرار وتوجيه السياسة الأمريكية وفق النبوءات الدينيّة التي تقول بعودة اليهود إلىٰ فلسطين وقيام صهيون ومن ثم ظهور المسيح.

وتعتقد الأصولية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح:

---

(١) الصهيونية المسيحية ـ محمد السماك ـ ص٦٢.

(٢) نفس المصدر ص١٤٧.

١ ـ **قيام إسرائيل**: وقد قامت إسرائيل في العام ١٩٤٨م ولذلك اعتبر الأصوليون المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ لأنه جاء مصدّقاً للنبوءة الدينيّة.

٢ ـ **احتلال مدينة القدس**: ولقد احتلت إسرائيل القدس في العام ١٩٦٧م، ويعتقد الإنجيليون والأصوليون المسيحيون أنها المدينة التي سيمارس المسيح منها حكم العالم بعد قدومه الثاني المنتظر.

٣ ـ **إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى**: وقد وضعت خريطة الهيكل الجديد فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة، وفي الوقت نفسه يتم إعداد وتدريب كهان الهيكل في معهد خاص بالقدس، أما الأموال اللازمة فقد جمع معظمها وأودع في حساب خاص باسم مشروع بناء الهيكل، وبعد اكتمال المشروع ستقع معركة هرمجدّون وهي معركة نوويّة يعتقد الإنجيليون والأصوليون أنها ستقع في سهل مجدّو بين القدس وعكا[١].

وقد ورد في مصادرنا الإسلامية[٢] بناء الهيكل كإحدىٰ علائم ظهور المهدي المرتبط بنزول المسيح زماناً ومشروعاً.

أما معركة هرمجدّون فيمكن أن تطبّق على المعركة الفاصلة التي ستقع كما في الروايات الإسلامية بين جنود المهدي وأعدائه في ساحل فلسطين أو هي الحرب الكبيرة التي ستسبق مرحلة الظهور بفترة قصيرة تؤدي إلىٰ هلاك الكثير من الناس وهو ما يعبّر عنه بالحرب العالمية الثالثة.

ولا تعنينا التفاصيل التي يوردها المسيحيون واليهود حول هذه المعركة فالاختلاف طبيعي نتيجة بعد الزمن في المصادر المسيحية واليهودية واختلاط الأمور وصعوبة التفسير، ويكفي إثبات أصل الموضوع دون الاعتناء بجزئياته.

إن هذه الحرب هي ما يعتقد به أمثال فالويل وهول ليندسي وبات

---

(١) الصهيونية المسيحية ص٧٢.

(٢) راجع «الملاحم والفتن» لابن طاووس.

روبرتسون وغيرهم من قادة اليمين المسيحي الجديد فإنهم يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية أو الكوارث الطبيعية والإنهيار الاقتصادي والفوضى الاجتماعية[١].

هذا وقد ألف جيري فالويل كتاباً بعنوان الحرب النووية والمجيء الثاني لعيسى المسيح نشره في عام ١٩٨٣[٢].

ويقول هول لندسي في كتبه المشهورة أن علينا أن نمرّ في سبع مراحل زمنية تتضمّن واحدة منها معركة هرمجدّون الرهيبة حيث يكشف عن أسلحة نوويّة مدمّرة تماماً وجديدة والدم سيسيل كالأنهار العاتية[٣].

إن استقصاءات الرأي الأخيرة تشير إلى أن أعداداً متزايدة من الأمريكيين يعتقدون أن الكرة الأرضية ستدمّر، وقد أظهر استقصاء ١٩٨٤ الذي أجرته مؤسسة باتكيلوفتيش أن ٣٩٪ من الشعب الأمريكي يقولون أنه عندما يتحدث الكتاب المقدس عن تدمير الأرض بالنار فإن ذلك يعني أننا نحن أنفسنا سوف ندمّر الأرض في هرمجدّون نوويّة.

فإذا كان هذا الاستقصاء صحيحاً فإن ذلك يعني أن ٨٥ مليون أميركي يعتقدون أن الحرب النووية لا مفرّ منها.

إن استقصاءً للرأي أجرته صحيفة نيويورك تايمز ومحطة تلفزيون (سي بي أس) قبل وقت قصير من لقاء ريغان ـ غورباتشوف بنهاية عام ١٩٨٥ أظهر أن نصف الرأي العام الأميركي فقط يشعر أن القمة سوف تحسّن في العلاقات السوفياتية الأميركية.

وأظهرت دراسة لمؤسسة «نلسن» نشرت في أكتوبر ١٩٨٥ أن ٦١ مليون أميركي (٤٠٪ من المشاهدين) يستمعون بانتظام إلى مبشرين يقولون لهم أننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً لمنع حرب نووية تتفجّر في حياتنا، ومن

---

(١) النبوءة والسياسة ص٦٠.
(٢) النبوءة والسياسة ص٥٦.
(٣) النبؤة والسياسة ص٢٤.

أكثر الإنجيليين شهرة الذين يبشرون على التلفزيون بنظرية هرمجدّون:

١ ـ بات روبرتسون الذي يستضيف برنامجاً لمدة تسعين دقيقة يومياً يدعىٰ نادي السبعمائة (سمي كذلك نسبة إلى ٧٠٠ مساهم معه) هذا البرنامج يصل إلىٰ أكثر من ١٦ مليون عائلة أي إلىٰ أكثر من ١٩٪ من الأمبركيين الذين يملكون أجهزة تلفزيون، وهو يوظّف حوالي ١٣٠٠ شخص لإدارة شبكته التلفزيونية المسيحية (سي بي أن) وتضم ثلاث محطات تلفزيونية ومحطة راديو مع محطة تلفزيون في جنوب لبنان ومراسلون في أكثر من ٦٠ دولة.

وفي مطلع عام ١٩٨٦ بدأت (سي بي أن) برنامجاً إخبارياً لمدة نصف ساعة يومياً (أخبار الليل) وهي تقدم أخباراً من وجهة نظر مسيحية إلىٰ ٢٧,٣ مليون مشاهد تلفزيوني يشتركون بمحطة البث.

وفي هذه السنة بدأ روبرتسون بالتفكير للوصول إلىٰ البيت الأبيض وكان ذلك بالترشيح للانتخابات الرئاسيّة سنة ١٩٨٨، وكان هذا الترشيح يقوم علىٰ لوائح كبيرة من المساهمين والتمويل، وكذلك على إقبال من المشاهدين يفوق عددهم قراء صحف التايم ونيوزويك ونيويورك تايمز ولوس أنجيلوس تايمز والواشنطن بوست مجتمعة.

٢ ـ جيمي سوغارت الذي يدير عملياته من باتون روج في لويزيانا وهي ثاني أكثر محطات التلفزيون الإنجيلية شهرة، استناداً إلىٰ استقصاء مؤسسات نلسون وهو يصل إلىٰ ٤,٥ مليون منزل يومياً (أو ٥,٤٪ من المشاهدين) وإلىٰ ما مجموعه ٩ ملايين وربع المليون أسرة (أو ١٠٪ من المشاهدين) أيام الآحاد.

٣ ـ جيم بيكر الذي يملك ثالث أشهر محطة تلفزيونية تبشيريّة، بدأ عمله الديني متتلمذاً على (بات روبرتسون) إنه يصل إلىٰ حوالي ٦ ملايين منزل (٦,٨٪ من المشاهدين).

وبيكر يعتقد أنه علينا أن نخوض حرباً رهيبة من أجل فتح الطريق أمام المجيء الثاني للمسيح، ومحطته هي المحطة التاسعة عشرة من حيث الحجم في أمريكا.

٤ ـ أورال روبرتس الذي تصر برامجه التلفزيونية اليوم إلىٰ ٥,٧٧ مليون منزل أي ٦,٨٪ من المشاهدين.

٥ ـ جيري فولويل الذي تصل دروسه التبشيرية الأسبوعية إلىٰ ٥,٦ مليون منزل أي ٦,٦٪ من جميع المشاهدين.

٦ ـ كنين كوبلاند الذي تصل دروسه إلى ٤,٩ مليون منزل أي ٥,٨٪ من المشاهدين، إن كوبلاند لا يحب إسرائيل كما هي، إنما يعبر عن حبه لإسرائيل لأنه وأتباعه يرون أنها المسرح الذي سيُقدّم عليه مشهد معركة هرمجدّون وعودة المسيح.

٧ ـ ريتشارد دي هان الذي يصل برنامجه (يوم كشف النظام) إلىٰ ٤,٧٥ مليون منزل (٤,٨٪ من المشاهدين).

٨ ـ ريكس همبرد الذي يصل برنامجه إلىٰ ٣,٧ مليون منزل (٤,٤ من المشاهدين) أنه يبشر بتعاليم تقول: «إن الله كان يعرف منذ البداية الأولىٰ أننا نحن الذين نعيش اليوم سوف ندمّر الكرة الأرضية».

هؤلاء ثمانية من الذين يقدمون البرامج الدينيّة ويبشّرون بنظرية هرمجدّون في الإذاعة والتلفزيون، ومن بين ٤ آلاف أصولي إنجيلي يشتركون سنوياً في مؤتمرات الإذاعات الدينيّة الوطنية هناك ثلاثة آلاف يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تعيد المسيح إلىٰ الأرض، وهذه الرسالة تبث عبر ١٤٠٠ محطة دينية في أمريكا[1].

إن معظم المدارس الإنجيليّة في الولايات المتحدة تدرّس النظام الديني ونظرية هرمجدّون مثل معهد مودي في شيكاغو وكلية فيلادلفيا الإنجيليّة والمعهد الإنجيلي في لوس أنجلوس وحوالي ٢٠٠ معهد آخر وبين ٨٠ إلىٰ ٩٠٪ من الأساتذة والطلاب يؤمنون بنار هرمجدّون النوويّة.

إن القس (غريسويل) راعي الكنيسة المعمدانية الأولىٰ في دالاس الأمريكية هو مثل روبرتسون وسواغرت وبيكر وغيرهم من الإنجيليين

---

(١) النبوءة والسياسة ص٢٩ ـ ٣٣.

التلفزيونيين يجعلون تأييد إسرائيل نوعاً من العبادة، إنه يؤمن بوجوب خوض معركة هرمجدّون وأن المسيح يعود بذلك فقط[1].

ومن الشخصيات التي تؤمن بهذه المعركة هو الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان، ففي عام ١٩٧٦ ناقش ريغان معركة هرمجدّون في مقابلة مسجلة مع جورج أوتيس الذي سبق له وتنبأ بوصول ريغان إلىٰ الرئاسة الأمريكية.

وعندما كان ريغان مرشحاً للرئاسة في عام ١٩٨٠ كان يواصل الحديث عن هرمجدّون وقد قال ريغان (وهو مرشح للرئاسة) للإنجيلي جيم بيكر في مقابلة تلفزيونية أجراها معه: إننا قد نكون الجيل الذي سيشهد هرمجدون.

ويقول المؤلف الإنجيلي دوغ ويل الذي كان حاضراً المقابلة أنه سمع ريغان يردد مراراً: إن نهاية العالم قد تكون في متناول يدنا.

وفي حفل عشاء في منزل ريغان في كاليفورنيا حضره ويل تحول الحديث إلىٰ الإتحاد السوفياتي وإلىٰ النبوءة الإنجيلية وفي وسط النقاش أعلن ريغان أمام ضيوفه: أننا ربما نكون الجيل الذي يرىٰ هرمجدّون.

يقول ويل: إن ريغان كان يناقش النبوءات الإنجيليّة على أنها مواضيع خاصة، وأنه أثناء مقابلات مع ريغان حضرها ويل سمعه يقول: إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرىٰ هرمجدّون.

وفي مقابلة صحفية أجراها الصحفي روبرت شير في آذار سنة ١٩٨١ مع جيري فولويل كشف عن أن الرئيس ريغان قال له: إن تدمير العالم قد يحدث «سريعاً جداً» وأن التاريخ سيصل إلىٰ ذروته.

ونقل فولويل عن ريغان قوله له: جيري، إنني أحياناً أؤمن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة الآن نحو هرمجدّون.

وبعد ذلك بعامين رتب ريغان لفولويل حضور اجتماع مجلس الأمن القومي ليستمع إلىٰ الملخصات التي تقدم، ولينـاقش كبار المسئولين الأميركيين في احتمال حرب نووية مع روسيا.

---

(١) النبوءة والسياسة ص٣٤.

كذلك واستناداً إلىٰ هول ليندسي وافق ريغان أيضاً على أن يُلقي مؤلف كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» كلمة حول الحرب النوويّة مع روسيا أمام استراتيجيي البنتاغون.

وفي أحد أيام اكتوبر من عام ١٩٨٣ كشف ريغان أن هرمجدّون لا تزال تشغل باله فقد اتصل هاتفياً بتوم واين من لجنة العلاقات العامة الأمريكية ـ الإسرائيلية قال له: كما تعرف فإنني أستند إلى أنبيائك القدامىٰ في العهد القديم وإلىٰ المؤشرات التي تخبر مسبقاً بهرمجدّون، وأني أتساءل إذا كنا الجيل الذي سيشهد ذلك، لا أعرف إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أياً من هذه النبوءات ولكن صدقني أنها تصف الوقت الذي نمرّ به.

وفي الأعوام ١٩٨٢ و٨٣ و٨٤ خاطب ريغان الاتحاد الوطني للمذيعين الدينيين ثلاث مرّات بأن الحرب النوويّة مقبلة وأنها ستحدث بأسرع مما نتصوّر[١].

وكتب جيمس ميلز في مقال نشره في مجلة سان دييغو أن ريغان كرئيس أظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تمشيّاً مع إرادة الله وذلك كأي مؤمن آخر يحتل منصباً عالياً خصوصاً وهو يعمل على بناء القدرة العسكريّة للولايات المتحدة ولحلفائها[٢].

وحول عودة المسيح بث القس ايفانز برنامجاً جديداً في شباط سنة ١٩٨٦ حول عودة المسيح الثانية ودور إسرائيل في تقريب موعد هذه العودة وأسماه «العودة»[٣].

وفي مؤتمر دولي دعت إلىٰ عقده السفارة المسيحية الدولية حضره ٦٠٠ من القيادات المسيحية قدموا من سبع وعشرين دولة تحدّث أحد قراراته عن الصلاة لعودة المسيح الثانية[٤].

إن المسيح ـ في اعتقاد المسيحيين ـ سيعود إلىٰ هذه الأرض لإعادة

---

(١) نفس المصدر ص٦٦، ٦٧.
(٢) نفس المصدر ص٦٨.
(٣) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص١٢٦.
(٤) نفس المصدر ص١٣٣.

إقامة حكم الله ولتحقيق السلام العالمي، وسوف يتولّى زمام قيادة العالم وسوف يقوم بذلك كلّه من مركز قيادته في القدس[١].

أما متى ستكون العودة يقول هال لينوسي: الجيل الذي ولد منذ عام ١٩٤٨ سوف يشهد العودة الثانية للمسيح[٢].

ويقول جيري فولويل: إننا نعتقد أننا نعيش في الأيام الأخيرة التي تسبق مجيء المسيح[٣].

أما القس غراهام فيقول: لم يسبق في التاريخ أن تحقق هذا العدد من النبوءات في مثل هذا الوقت القصير نسبياً[٤].

وعندما قامت مستوطنة «جيل الأمل» إلى الغرب من يافا في العام ١٨٥٠م كان إقبال المسيحيين على الاستيطان فيها أشدّ من إقبال اليهود وذلك انتظاراً للعودة الثانية للمسيح[٥].

وفي أوروبا سعى المسيحيّون في إقناع اليهود بتسريع هذه العودة من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح[٦].

وفي عام ١٩٤٨ كانت سعادة المسيحيين الأصوليين في الولايات المتحدة الأمريكية بلا حدود لقيام إسرائيل واعتبروا هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ الحديث ودليلاً على أن نبوءات التوراة صارت حقيقة، وهم يؤمنون بأن التوراة تنبأت بنهاية العالم واحلال مملكة جديدة بعد العودة الثانية للمسيح، فإنه من الضروري تجميع اليهود في الأرض المقدسة قبل عودة المسيح، وبمعنى آخر فإن نهاية العالم لا تتم إلا بعد تأسيس إسرائيل جديدة، وهكذا صاروا بانتظار تتابع التطورات التالية لهذا التأسيس حسب ما سمّوه «الخطّة الإلهية»[٧].

---

(١) النبوءة والسياسة ص٤٥.

(٢) نفس المصدر ص٥٠.

(٣) نفس المصدر ص٥٦.

(٤) نفس المصدر ص٦١.

(٥) الصهيونية المسيحية: ص٥٧.

(٦) نفس المصدر ص٥٨.

(٧) البعد الديني في السياسة الأمريكية ص٧٨.

ولما جاءت حرب حزيران ١٩٦٧ والانتصار الإسرائيلي العسكري فيها وما نتج عنه من احتلال لبقيّة أرض فلسطين وبخاصة مدينة القدس كان هذا الانتصار أكثر أهمية عند الأصولية المسيحيّة من تأ يس الدولة اليهودية في عام ١٩٤٨ فقد رأت فيه وخاصة احتلال إسرائيل للقدس كاملة تحقيقاً للنبوءة التوراتية وإشارة لاقتراب نهاية الأزمنة، فالقدس عندهم هي المدينة التي سيحكم المسيح العالم منها عند قدومه الثاني[١].

وهكذا رأينا حالة الانتظار التي يعيشها قسم كبير من متديني المسيحيين وعلى أعلىٰ المستويات الاجتماعية لعودة المسيح الثانية وإقامته دولة إلهية وملكوتاً سماوياً على الأرض وهو ما يؤمن به المسلمون أيضاً إلا أن الصورة تكتمل بدرك حقيقة ظهور المهدي وإعلانه ثورته ونزول المسيح وعودته إلىٰ الأرض ليتعاونا في إصلاح المجتمع البشري كافة، وهو ما سنبحثه في الفصل الآتي.

---

(١) نفس المصدر ص٧٨ ـ ٧٩.

الخلاص الإسلامي المسيحي

ظهور المهدي ونزول المسيح

تحدثنا في الفصلين السابقين وبشكل منفصل عن الإمام المهدي وغيبته بين الناس بانتظار يوم ظهوره المبارك وثورته العالمية التي يقيم فيها حكم الله في الأرض كلها طوعاً وكرهاً، وأيضاً تحدثنا عن ارتفاع المسيح إلىٰ السماء وانتظاره وانتظار المسيحيين يوماً يهبط فيه إلىٰ الأرض ليقيم مجداً وملكوتاً لله فيها.

والسؤال هو: هل أن المستقبل الذي ينتظره المسلمون يختلف عن المستقبل الذي يترقبه المسيحيون؟

وهل أن الحكم الإلهي الذي سيقيمه الإمام المهدي على الأرض هو غير الحكم الإلهي الذي سيشترك فيه المسيح عليها؟

وبعبارة أخرىٰ: هل تنتظر البشرية عهداً مظلماً تتصارع فيه دولتان على مستوىٰ الأرض دولة المهدي الإسلامية ودولة المسيح أم هو عهد سيتوحد فيه سكان الأرض جميعاً تحت ظل نظام إلهي مشترك؟

إن الحديث عن البشرية في الحقيقة هو حديث عن أكبر تيارين اجتماعيين فيها ألا وهما التيار المسيحي والتيار الإسلامي، فكل منهما ينتمي إليه أكثر من مليار إنسان، ومهما افترضنا من حدوث حروب ضخمة ـ كما يفهم من بعض النصوص المسيحية والإسلامية ـ أو أوبئة عامة فإن المتبقي منهما سيشكل بمجموعه الأكثرية علىٰ الأرض أيضاً وبالتالي فالحديث عن مستقبلهما هو حديث عن مستقبل البشرية جمعاء ولأجل أن نفهم المستقبل

الذي يسير إليه العالم لا بد من فهم المسيرة الإسلامية والمسيرة المسيحية فيه لنرىٰ هل ستلتقيان في عهد مشترك أم ستختلفان وتتصارعان؟

والإجابة عن هذه الأسئلة لو أردنا أن نستخلصها من الدراسات الاجتماعية والفلسفية وملاحظة الواقع البشري الحالي لدخلنا في بحث له بداية وربما ليس له نهاية، ولتُهنا بالاحتمالات المتضاربة والتحليلات المختلفة ولذا نجد من الأفضل أن ندرس النصوص الدينية المقدسة للإسلام والمسيحيّة التي تحدّثت عن هذا الأمر منذ أكثر من ألف عام وإن كانت تصطدم مع فهم الناس الموروث لبعض جوانبها نتيجة الاختلاف بين زمان صدورها وزماننا الحاضر وكونها صدرت رمزية، ولكن لو أمعنا النظر والفهم فيها وجمعنا بعضها مع البعض الآخر وبروح توّاقة لمعرفة الحقيقة الكامنة وراء هذه النصوص المنتهية في مصدرها إلىٰ الله عزّ وجلّ لاستطعنا اكتشاف الأسس والملامح للمستقبل البشري على الأرض وكما قلنا هو المستقبل الإسلامي المسيحي.

ولا شك أن ذوي التفكير المادي والمشككين في كل شيء سوف يصعب عليهم درك هذه الحقائق إلا إذا تجرّدوا موضوعياً وتعاملوا مع النصوص الدينية على أنها نصوص تاريخية وتنبوءات ـ على الأقل ـ يمكن إثبات صحتها من خلال تحقق بعضها وتأييد الواقع له.

أما المؤمنون من المسلمين والمسيحيين فهم توّاقون لمعرفة المستقبل البشري على ضوء النصوص الدينية كل وفق دينه ونصوصه.

ونحن هنا نحاول أن نكشف حقيقة اتحاد المستقبل الإسلامي والمسيحي وإثبات ذلك بالجمع بين نصوص هاتين الديانتين السماويتين العظيمتين والمقارنة بينها ليتضح للجميع أن الهدف مشترك والمستقبل واحد لأن الإسلام والمسيحية هما في الحقيقة دين واحد جاء في مرحلتين وينتميان إلىٰ إله واحد تبارك وتعالىٰ.

إن مقارنتنا لهذه النصوص ـ على سبيل المثال وليس الحصر ـ ستتناول هدف نزول المسيح إلىٰ الأرض وهدف ظهور الإمام المهدي، ثم نخوض في بعض تفاصيل ما سيقومان به على الأرض لنرىٰ هل هما شيء واحد أم شيئان؟

هدف ظهور المهدي ونزول المسيح

ذكرنا سابقاً أن الهدف الشامل لظهور الإمام المهدي هو إقامة حكم الله في الأرض على صورة دولة عالمية تشمل بقاع الأرض جميعاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام عن المهدي: «... يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون ثم يظهره الله عزّ وجلّ فيفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها... وتشرق الأرض بنور ربها ولا تبقىٰ في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزّ وجلّ إلا عبد الله فيها، ويكون الدين كلّه لله ولو كره المشركون»[1].

أما المسيح فسينزل من السماء لإقامة أو الأحرىٰ الاشتراك في ملكوت الله في الأرض الذي بشّر به كثيراً قبل ارتفاعه إليها[2]، وملكوت الله هو حكم الله حيث تكون مشيئة الله في الأرض كما هي في السماء.

قال المسيح: «يجب عليّ أن أبشّر سائر المدن أيضاً بملكوت الله فإني لهذا أرسلت»[3].

وقال أيضاً لتلاميذه: «متى صلّيتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات،

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٤٦ عن إكمال الدين.

(٢) راجع «المهدي والمسيح ـ قراءة في الإنجيل».

(٣) إنجيل لوقا: ٤/ ٤٢ و٤٣.

ليتقدّس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض»[1].

ومشيئة الله على الأرض هي حكمه وشريعته تطبّق في أرجاء المعمورة، وبالتالي فالهدف واحد لظهور الإمام المهدي ونزول السيد المسيح وهو إقامة حكم الله على الأرض.

حتمية تطبيق حكم الله في الأرض:

إن هذا الحكم الإلهي الشامل في ربوع البشرية جمعاء أمر لا بدّ من حدوثه كما ورد في النصوص الإسلامية والمسيحية.

قال النبي محمدﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ يقوم القائم بالحق»[2].

وقال أيضاً: «المهدي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق نبيّاً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتىٰ يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسىٰ بن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها»[3].

أما المسيح فقال في معرض حديثه عن ملكوت الله: «... الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتىٰ يتم كل شيء أو تزول السماء والأرض»[4].

إنها حتمية لا بد من حدوثها وإلا زالت السماء والأرض، لأن الهدف الإلهي في وجود الكون هو عبادة الإنسان لله عبادة اختيارية كاملة فرداً ومجتمعاً وتطبيق الشريعة بكل تفاصيلها، فلا يسقط الدين الإلهي ولا يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتىٰ يتم تطبيق الشريعة تامة في ملكوت الله المقام في الأرض.

---

(١) إنجيل لوقا: ١١/٢.

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٦٥ عن عيون أخبار الرضا.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٧١ عن إكمال الدين.

(٤) إنجيل متىٰ: ٥/١٧ و١٨.

الرقعة الجغرافية لحكم الله:

إن حكم الله الشامل ودولته ستكون ـ كما ذكرنا ـ عالمية تعم الأرض كلها.

يقول الإمام الباقر عليه السلام عن المهدي ودولته: «يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عزّ وجلّ به دينه ولو كره المشركون...»[1].

وقال المسيح لتلاميذه بعد أن ذكر الفتن والبلاءات التي سيتعرضون لها قبل قيام ملكوت الله مشيراً إلى عالمية البشارة بالملكوت: «ويجب أن تعلن البشارة قبل ذلك إلى جميع الأمم»[2].

وقال أيضاً: «وسوف يأتي الناس من المشرق والمغرب ومن الشمال والجنوب فيجلسون على المائدة في ملكوت الله»[3].

الفائزون والخاسرون في حكم الله:

إن حكم الله في الأرض وملكه الأمل الأكبر للمحرومين والمستضعفين وأهل الحق والمؤمنين الذين اضطهدوا خلال التاريخ البشري الطويل وقتلوا وشرّدوا وجاعوا وعطشوا.

قال الله تعالى في قرآنه الكريم: **﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[4].

وقال أيضاً: **﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**[5].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن أهل الحق لم يزالوا منذ كانوا في شدّة، إن ذلك إلى مدّة قريبة وعاقبة طويلة»[6].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٩١ عن إكمال الدين.
(٢) إنجيل مرقس: ١٣/ ١٠.
(٣) إنجيل لوقا: ١٣/ ٢٩.
(٤) سورة القصص: الآية ٥.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.
(٦) بحار الأنوار ٥٢: ٣٥٨ عن غيبة النعماني.

فيما سيُنتقم من الكافرين والظالمين والمفسدين في الأرض كما ذكرنا: قال النبيﷺ عن المهدي: «. . . فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله. . .»[1].

وقال المسيح لتلاميذه عن ملكوت الله وحكمه في الأرض: «طوبىٰ لكم أيها الفقراء فإن لكم ملكوت الله، طوبىٰ لكم أيها الجائعون الآن فسوف تشبعون، طوبىٰ لكم أيها الباكون الآن فسوف تضحكون»[2].

وقال أيضاً: «طوبىٰ لفقراء الروح فإن لهم ملكوت السماوات، طوبىٰ للودعاء فإنهم يرثون الأرض، طوبىٰ للمحزونين فإنهم يعزّون، طوبىٰ للجياع والعطاش للبرّ فإنهم يشبعون، طوبىٰ للرحماء فإنهم يُرحمون، طوبىٰ لأطهار القلوب فإنهم يشاهدون الله (رؤية القلب لا رؤية العين) طوبىٰ للساعين إلىٰ السلام فإنهم أبناء الله يُدعون (أي: أبناء تكريماً لا نسباً كما أن المسيح ابن الله كذلك) طوبىٰ للمضطهدين على البرّ فإن لهم ملكوت الله»[3].

أما أهل الباطل فقد خاطبهم المسيح بعد أن جمعهم تحت اسم «الأغنياء» قائلاً: «لكن الويل لكم أيها الأغنياء فقد نلتم عزاءكم، الويل لكم أيها الشباع الآن (على حساب الآخرين وظلماً لهم) فسوف تجوعون، الويل لكم أيها الضاحكون الآن (بتسلطكم على الناس وطغيانكم وعبثكم) فسوف تحزنون وتبكون»[4].

وقت حدوث حكم الله في الأرض:

إن الوقت الدقيق لقيام حكم الله في الأرض أو بتعبير آخر لظهور الإمام المهدي وقيامه بثورته العالمية ونزول المسيح للمشاركة فيها غير معلوم لأحد بل هو من أمر الله وسرّ لله كما تقدم.

سئل النبيﷺ فقيل: يا رسول الله، متىٰ يخرج القائم من ذريّتك؟

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٣١١ عن عيون أخبار الرضا.

(٢) إنجيل لوقا: ٦/ ٢٠ و٢١.

(٣) إنجيل متىٰ: ٤/ ٣.

(٤) إنجيل لوقا: ٦/ ٢٤ و٢٥.

قال: مثله مثل الساعة لا يجلّيها لوقتها إلا هو ثقلت في السمٰوات والأرض، ولا يأتيكم إلا بغتة»[1].

ولما سئل المسيح: متىٰ يأتي ملكوت الله؟

قال: «لا يأتي ملكوت الله على وجه يُراقب»[2].

وقال لتلاميذه عن الاستعداد ليوم قيام حكم الله: «... فاسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون اليوم والساعة»[3].

وقال لهم أيضاً: «فاحذروا أن يثقل قلوبكم السكر والقصوف وهموم الحياة الدنيا فيباغتكم ذلك اليوم كأنه الفخ، لأنه يطبق على جميع من يسكنون وجه الأرض كلها، فاسهروا مواظبين على الصلاة لكي توجدوا أهلاً للنجاة...»[4].

فيما ورد عن الإمام المهدي قوله للشيخ المفيد في رسالة بعثها إليه قبل ألف عام تقريباً: «فليعمل كل امرىءٍ منكم بما يقرب به من محبتنا ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة...»[5].

علائم قيام حكم الله:

إن وقت قيام حكم الله وملكوته في الأرض لا يعرف ـ كما ذكرنا ـ ولكن هناك علائم تسبق ذلك الوقت ذكرتها النصوص الإسلامية والمسيحية منذ القديم مستندة إلىٰ علم الله عزّ وجلّ الذي لا يحدّه زمان أو مكان.

وجاء ذكر هذه العلائم ليترقب المؤمنون حدوث ذلك اليوم العظيم ويستعدّوا له ويعيشوا الأمل المستمر برؤيته.

وهٰذه العلائم نجدها متقاربة جداً بين النصوص المسيحية والإسلامية

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ١٥٤ عن إكمال الدين.

(٢) إنجيل لوقا: ١٧/ ٢٠.

(٣) إنجيل متىٰ: ٢٤.

(٤) إنجيل لوقا: ٢١ / ٣٤ ـ ٣٦.

(٥) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣٢٤

مما يحكي عن وحدة اليوم المنتظر ووحدة الأمل بالخلاص.

بقي أن نشير قبل الشروع بالمقارنة بينها أن أكثر ما ورد في الإنجيل من علائم وتنبوءات يرتبط بمجيء «ابن الإنسان» وهو على الفهم المسيحي المسيح نفسه فيما وجدنا من خلال تتبع ورود هذا المصطلح في الأناجيل الأربعة وملاحظة المعلومات الواردة عنه في تلك النصوص أن المراد في كثير من موارد ذكره في الأناجيل ـ وليس جميعها ـ هو شخص الإمام المهدي ـ كما سنشير إلى ذلك باختصار في فصل لاحق[1] ـ فتكون تلك العلائم في الحقيقة هي علائم لظهور الإمام المهدي بالذات.

وعلى أي حال، حتى لو اعتبرنا ما ورد في الإنجيل من نبوءات وعلائم مختصاً بملكوت الله وقيام حكم الله فالتشابه قائم بينها وبين ما ورد في النصوص الإسلامية من علائم لظهور للإمام المهدي وإقامته حكم الله في الأرض.

١ ـ الحروب والزلازل:

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا يقوم القائم إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس»[2].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «أبشروا بالمهدي يخرج على حين اختلاف من الناس (أي: حروب) وزلزال شديد»[3].

قال المسيح لتلاميذه: «... وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب... فستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة وهذا كله بدء المخاض»[4].

---

(١) راجع التفصيل في كتابنا «المهدي والمسيح ـ قراءة في الإنجيل».

(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٣٤٨ عن غيبة النعماني.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٧٤ عن غيبة الطوسي.

(٤) إنجيل متى: ٢٤.

٢ ـ الأنبياء الكذبة:

قال النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج نحو من ستين كذاباً كلهم يقولون: أنا نبي»[١].

وقال المسيح: «ويظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلّون أناساً كثيرين»[٢].

٣ ـ الإنحراف والفساد:

قال النبي ﷺ عن ظهور الإمام المهدي: «يكون ذلك إذا... كثر الجور والفساد وظهر المنكر...»[٣].

وقال المسيح: «... ويزداد الإثم فتفتر المحبة في أكثر الناس»[٤].

٤ ـ الامتحان والابتلاء:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وكذلك أنتم تميّزون حتىٰ لا يبقىٰ منكم إلا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً»[٥].

وعن الكاظم عليه السلام: «يخلصون كما يخلص الذهب»[٦].

وقال المسيح عن هذه الابتلاءات: «والذي يثبت إلىٰ النهاية فذاك الذي يخلص»[٧].

٥ ـ الموت الواسع:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قدّام القائم موتان: موت أحمر وموت أبيض حتىٰ يذهب من كل سبعة خمسة، فالموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون ـ أي: الوباء ـ»[٨].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٩ عن غيبة الطوسي.
(٢) إنجيل متىٰ: ٢٤.
(٣) بحار الأنوار ٥١: ٧٠ عن إكمال الدين.
(٤) إنجيل متىٰ: ٢٤.
(٥) بحار الأنوار ٥٢: ١١٦ عن غيبة النعماني.
(٦) بحار الأنوار ٥٢: ١١٥ عن غيبة النعماني.
(٧) إنجيل متىٰ: ٢٤.
(٨) بحار الأنوار ٥٢: ٢٠٧ عن إكمال الدين.

وفي حديث عن النبيﷺ أن هناك حرب مدمّرة تسبق الظهور وهي فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب[١].

وقال المسيح: «فإذا رأيتم المخرّب الشنيع (الترجمة اللفظية: قباحة الخراب) الذي تكلم عليه النبي دانيال قائماً في المكان المقدس.. فليهرب إلىٰ الجبال من كان عندئذ في اليهودية (أي: القدس أو عموم فلسطين). ومن كان على السطح فلا ينزل ليأخذ ما في بيته، ومن كان في الحقل فلا يرتد إلىٰ الوراء ليأخذ رداءه، الويل للحوامل والمرضعات في تلك الأيام... فستحدث عندئذ شدّة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء الخليقة إلىٰ اليوم ولن يحدث، ولو لم تقصّر تلك الأيام لما نجا أحد من البشر ولكن من أجل المختارين (أي: الصالحين) ستقصّر تلك الأيام»[٢].

يبدو أنها إشارة إلىٰ حرب عالمية نووية مدمّرة.

٦ ـ سرعة مجيء الإمام المهدي:

قال النبيﷺ: «المهدي من ولدي... تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم ثم يُقبل كالشهاب الثاقب ويملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٣].

وقال المسيح: «وكما أن البرق يخرج من المشرق ويلمع حتىٰ المغرب فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان»[٤].

٧ ـ خسوف وكسوف:

قال الإمام الباقر عليه السلام: «آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم إلىٰ الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره».

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٨٦ عن تفسير الكشاف.

(٢) إنجيل متىٰ: ٢٤.

(٣) بحار الأنوار ٥١: ٧٢ عن إكمال الدين.

(٤) إنجيل متىٰ: ٢٤.

فقال أحدهم: يا ابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف!

فقال عليه السلام: «إني لأعلم بما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم»[1].

يبدو أن هذا الكسوف والخسوف اللذين يحصلان في غير وقتهما الطبيعي إنما يكونان بسبب عازل ضوئي آخر وليسا بسبب الأرض في الخسوف والقمر في الكسوف، ولذا وردت الإشارة إليهما كعلامة مميّزة للظهور وإلا فهما يتكرران دائماً.

ويقول المسيح: «وعلى أثر الشدّة في تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يُرسل ضوءه»[2].

ولعله ـ كما يفهم من النص ـ ستكون هناك سحابة دخان كثيفة ناتجة من تلك الشدّة والحرب العالمية النووية تسبب حدوث كسوف وخسوف في غير وقتهما الطبيعي.

٨ ـ آية في السماء:

يقول الإمام الباقر عليه السلام عن آية سماوية تسبق ظهور المهدي: «وجاءت صيحة من السماء بأن الحق فيه وفي شيعته»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ينادي منادٍ من السماء أول النهار يسمعه كل قومٍ بألسنتهم ألا إن الحق في عليّ وشيعته»[4].

وقال المسيح: «وتظهر عندئذ في السماء آية ابن الإنسان»[5].

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢١٣ عن غيبة الطوسي.

(٢) إنجيل متى: ٢٤.

(٣) بحار الأنوار ٥٢: ١٩٢ عن إكمال الدين.

(٤) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٩ عن غيبة الطوسي.

(٥) إنجيل متى: ٢٤.

٩ ـ اجتماع الأصحاب:

يقول الإمام الجواد عليه السلام عن أصحاب الإمام المهدي وأنصاره الذين يجتمعون عنده من أطراف الأرض: «يجتمع إليه أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض»[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ: **﴿أينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً﴾**: يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً[٢].

وقال أيضاً: «الفقداء قوم يُفقدون من فرشهم فيصبحون بمكة... وهم أصحاب القائم»[٣].

وقال المسيح عن ابن الإنسان: «ويُرسل ملائكته ومعهم البوق الكبير فيجمعون الذين اختارهم من جهات الرياح الأربع، من أطراف السماوات إلىٰ أطرافها الأخرىٰ»[٤].

إذاً من كل ما تقدم يظهر لنا أن دولة الإمام المهدي هي عينها ملكوت الله الذي يبشّر به المسيح ودعا تلاميذه والناس للاستعداد له.

فدولة المهدي حكم ديني إلهي يشمل المعمورة كلها، وملكوت الله حكم ديني إلهي يشمل الأرض كلها.

ودولة المهدي ستطبق فيها أحكام الله في الأرض وملكوت الله ستطبق فيه مشيئة الله وإحكامه في الأرض كما هي في السماء.

دولة المهدي تكون في آخر الزمان وملكوت الله وعد به المسيح أنصاره في آخر الزمان عند النهاية.

دولة المهدي تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً وملكوت الله يطبق فيه العدل.

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٣ عن إكمال الدين.
(٢) بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٨ عن الكافي.
(٣) غيبة النعماني: ١٦٩.
(٤) إنجيل متىٰ: ٢٤.

دولة المهدي للصالحين والمستضعفين والمحرومين وملكوت الله للأبرار والمضطهدين والفقراء.

دولة المهدي تجري فيها عملية التطهير الشامل وملكوت الله سيُعاقب فيه الفجّار والمجرمون ويقتلعون من المجتمع.

دولة المهدي لها علائم هي نفسها لملكوت الله.

فهما إذاً دولة واحدة تمتد من الشرق إلىٰ الغرب ومن الشمال إلىٰ الجنوب لتشمل الكرة الأرضية بأسرها وتكون خاتمة المسيرة البشرية وثمرة جهود الأنبياء والأديان السماوية.

وسيكون للإمام المهدي والمسيح دور مشترك في إقامتها وسوف يتعاونان في إصلاح المجتمع البشري وفق برامج الدين الإلهي، ولأهمية هذا الدور المشترك ورد ذكر له في النصوص الإسلامية والمسيحية.

عودة المسيح في المصادر الإسلامية:

قال النبيﷺ: «... والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتىٰ يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسىٰ بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[1].

إن صلاة عيسىٰ خلف المهدي تشير إلىٰ اتباعه دين الإسلام وبالتالي دعوة قومه إلىٰ الإسلام وذلك لأن دينه قد انتهت مرحلته بمجيء النبي محمدﷺ الخاتم للأنبياء والمكمّل لشرائعهم بالشريعة الإسلامية الغرّاء، ولما كان وصي النبي موجوداً على الأرض وهو الإمام المهدي فما على المسيح إلا الاقتداء به والصلاة خلفه فهو خليفة الله في الأرض حينها.

وقال النبيﷺ أيضاً: «.. ومنكم القائم يصلّي عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلىٰ الأرض»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٥١: ٧١ عن إكمال الدين.

(٢) بحار الأنوار ٥١: ٧٨ عن الكافي.

وقال: «ليس بيني وبينه (أي: عيسىٰ عليه السلام) نبي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلىٰ الحمرة والبياض، وبين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل فيقاتل على الإسلام، فيدقّ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال (لعله الحضارة المادية الحالية التي ترفع شعار المسيح دجلاً) فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتوفىٰ فيصلّي عليه المسلمون»[1].

وفي حديث آخر: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية...»[2].

إنه سيكسر الصليب لأن اليهود لم يصلبوه علىٰ الحقيقة كما قال الله في القرآن الكريم: **﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم﴾**[3].

وسيقتل الخنزير لأن أكله محرّم في الإسلام، وهذه إشارة إلىٰ دعوة المسيح اتباعه إلى التحول للإسلام واتباع الأحكام الإسلامية. ويضع الجزية أي يلغي مسألة أهل الذمّة، حيث في الإسلام والمجتمع الإسلامي يعامل المسيحيون وأهل الكتاب معاملة خاصة، منها دفعهم ضريبة الجزية باعتبارهم ينتفعون بخدمات الدولة الإسلامية ولا يدفعون ضريبة الخمس والزكاة كما يفعل المسلمون.

ورفع الجزية يعني توحيد الجميع على الدين الإسلامي بالهداية وكشف الحقائق من قبل الإمام المهدي والمسيح عليهما السلام فلا يبقىٰ عذر لأحد في البقاء على غير الإسلام فقد حضر المسيح بنفسه وشهد بوجوب اتباع الإسلام.

---

(١) سنن أبي داود ٢: ٤٣٢.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠٥.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٧.

ظهور المهدي في الإنجيل

اتضح لنا مما تقدم أن للمسيح عليه السلام دور مهم في زمان ظهور الإمام المهدي وفي هداية البشرية نحو الحق والإسلام، وبتعبير آخر أن هداية أكثر المسيحيين في العالم مرتبطة بعودة المسيح إلىٰ الأرض ثانية، ولهذا الهدف الكبير اقتضت حكمة الباري عزّ وجلّ ولطفه أن يُرفع إلىٰ السماء ويُدّخر كل هذه المدّة الطويلة التي قاربت الألفين عاماً ليسهل عند هبوطه ثانية هداية وإنقاذ هذا العدد الغفير من الناس وعلى الأخص كونهم أقرب الناس إلىٰ الإسلام كما قال الله تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿... **ولتجدنّ أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى...**﴾[1].

أما اليهود فحالهم أسوأ من ذلك، ولم يدخّر الله عزّ وجلّ لهم نبياً يساهم في هدايتهم في دولة الإمام المهدي لأنهم أكثر الناس عداوة للمؤمنين كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**لتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا...**﴾[2].

بل واعدهم بالقتل عند إفسادهم الثاني في الأرض.

وكما قلنا: إذا كان دور المسيح عليه السلام في عودته الثانية إلىٰ الأرض بهذه الأهمية فهل يعقل أنه لم يُشر إلىٰ ذلك قبل صعوده إلى السماء؟!

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٨٢.

والحق أن الأمر على العكس من ذلك فإن أهم موضوع تحدّث به المسيح هو البشارة بهذه الدولة وعبر عنها بمصطلح «ملكوت الله» ـ كما فصلنا ذلك ـ وأكثر من هذا فقد تحدّث عن شخص الإمام المهدي بالذات وعن دوره القيادي في هذه الثورة والدولة الإلهية العامة كما تفهم إشارته إلى دوره في قيام الدولة وقيادتها نافياً ذلك عن نفسه بقوله: «أنا لا أطلب مجدي فهناك من يطلبه ويحكم»[1].

إنه شخص آخر غير المسيح يسعى إلى إقامة الدولة الإلهية والمجد الرباني على الأرض ثم يحكم تلك الدولة، وليس هناك مَن ينطبق عليه هذا الوصف بوضوح وجدارة سوى الإمام المهدي الذي ينتظره المسلمون.

والمشكلة أن حديث المسيح عن الإمام المهدي كان رمزياً ومختصراً كحديثه عن «ملكوت الله» وبقية الأمور الغيبية في ذلك الوقت، لأن العهد كان لا يزال بعيداً عن زمان الإمام المهدي بل لم يأت الإسلام بعد فكيف بتلاميذه وعامة قومه أن يفهموا موضوع الإمام المهدي ودولته في آخر الزمان!

وقد أشار المسيح إلى هذه الحقيقة فقال: «قلت لكم هذه الأشياء بالأمثال تأتي ساعة (أي: في عودته الثانية) لا أكلّمكم فيها بالأمثال بل أخبركم عن الأب (أي: الرب) بكلام صريح»[2].

هذا بالإضافة إلى كتمانه الكثير من الحقائق في هذا الموضوع لعدم استعدادهم وقدرتهم على تحملها، وقد قال لهم مرّة بعد أن ذكر لهم الكثير من موضوع الملكوت وصعوده إلى السماء وعودته: «لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم ولكنكم لا تطيقون الآن حملها»[3].

ومن هنا لا سبيل لتحصيل نصوص من الإنجيل صريحة كل الصراحة وواضحة كل الوضوح في موضوع البشارة بالإمام المهدي وبشخصه الجليل،

---

(١) إنجيل يوحنا: ٨/ ٥٠.

(٢) إنجيل يوحنا: ١٦/ ١٥.

(٣) إنجيل يوحنا: ١٦/ ١٢.

ولكن هذا لا يعني أن البشارة لم ترد بل علينا فتح بصائر القلب أكثر والتمعن في أقوال المسيح وتحليلها والربط بينها من أجل اكتشاف ما تحمل من حقائق حمّلها تلاميذه بالأمثال والرموز والإشارات.

وبعد ملاحظة أقواله عليه السلام نجده قد أشار إلىٰ الإمام المهدي بمصطلح «ابن الإنسان» وهو باللغة العبرية «برناشا» و«بر» بمعنىٰ الابن أما «ناشا» فلها معانٍ كثيرة مثل: «الإنسان، الإمام، العظيم»[1] إلا أن الترجمة التي اختيرت في الأناجيل لهذا المصطلح هي «ابن الإنسان».

ثم إنهم اعتقدوا ـ نتيجة هذه الرمزية والإشارة ـ أن المراد بهذا المصطلح هو المسيح نفسه فاستعملوه له في موارد كثيرة في الإنجيل حتىٰ اختلط الاستعمال بين المسيح وبين الشخص الآخر الذي كان يتحدث عنه والذي هو الإمام المهدي كما سنثبت ذلك.

تقول الرهبانية اليسوعية في هذا المصطلح أو العبارة: وجدت فيها الجماعة المسيحية الأولىٰ إحدىٰ العبارات المميّزة ليسوع الناصري ففضّلتها علىٰ سائر الألقاب التي أطلقتها عليه[2].

وبالتالي انعكس فهمهم لها في كتابة الأناجيل وترجمتها فحصل هذا الخلط.

أما في أيام المسيح فنجد أن هذا التطبيق الخاطىء لمصطلح ابن الإنسان على المسيح لم يكن موجوداً كما يظهر من الحوار التالي بين المسيح وتلاميذه.

يقول القديس متىٰ في إنجيله: «ولما وصل يسوع إلىٰ نواحي قيصريّة فيلبُّس سأل تلاميذه: مَن «ابن الإنسان» في قول الناس؟

فقالوا: بعضهم يقول: هو يوحنا المعمدان (أي: النبي يحيىٰ).

وبعضهم الآخر يقول: هو إيليا.

---

(١) ذكر ذلك المحقق السيد سامي البدري في بحوث مخطوطة.

(٢) العهد الجديد: ٥٨ الهامش ١٥. طبعة بيروت ١٩٨٩ ـ دار المشرق.

وغيرهم يقول: هو أرميا أو أحد الأنبياء».

وهنا نلاحظ أنه لم يرد للناس قول بأنه المسيح نفسه بل هو إنسان آخر بلا شك.

أما رأي التلاميذ في هذا الموضوع فقد قال لهم المسيح بعد سماعه جوابهم السابق: «ومن أنا في قولكم أنتم؟

فأجاب سمعان بطرس: أنت المسيح ابن الله (أي: الابن التكريمي) الحي».

ونلاحظ أنه لم يقل له: «أنت ابن الإنسان» كما يقتضيه سياق الحوار، بل كان واضحاً لديه أنه ليس هو بل هو المسيح ولذا مدحه وقال له: «طوبىٰ لك يا سمعان بن يونا، فليس اللحم والدم كشفا لك هذا بل أبي (أي: ربّي) الذي في السماوات»[1].

وبعد هذا الحوار أخذ المسيح يحدثهم عما سيقع له مع اليهود ودعاهم لأتباعه والتعرّض للبلاء إذا شاؤوا وختم حديثه بالقول: «سوف يأتي ابن الإنسان في مجد أبيه (أي: حكومة ربّه) ومعه ملائكته فيجازي يومئذ كل امرىءٍ على قدر أعماله».

إنه قطعاً إنسان آخر غير المسيح ولو كان يريد نفسه لقال: «سوف آتي...» وخصوصاً أن الحديث من أوله كان حول ابن إنسان.

ودليل آخر حول هذه المسألة حيث أضاف المسيح قائلاً: «الحق أقول لكم: من الحاضرين هاهنا من لا يذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته»[2].

وهذا القول فيه الدليل التام على أن المراد من «ابن الإنسان» هو شخص آخر يقود «ملكوت الله» وليس المسيح نفسه.

فقد قال لهم الحق أن من الحاضرين في ذلك المجلس ـ أي هو

---

(١) إنجيل متىٰ: ١٦/١٣.

(٢) إنجيل متىٰ: ١٦/١٣ ـ ٢٨.

وتلاميذه ـ من لا يذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته ودولته، ولم يدّع أحد، ولم يُنقل أن من تلاميذه من كتب له البقاء من بعده وسيبقىٰ حتىٰ قيام ملكوت الله، في حين من الثابت بقاؤه هو في السماء منتظراً العودة الثانية للاشتراك في ملكوت الله، فإذا كان المسيح الشخص الوحيد من الحاضرين في ذلك المجلس الذي سياشهد ابن الإنسان فهل يكون هو نفسه؟!

إن المسيح كان دقيقاً في العبارة فلم يقل لهم: «منكم». بل قال لهم: من الحاضرين...

وهي إشارة واضحة إلىٰ إرادته نفسه ضمن الحاضرين لأنه هو غير ابن الإنسان وسيعيش ولا يذوق الموت حتىٰ يراه آتياً في ملكوته ودولته.

أما استعمال صيغة الجمع في «يذوقون» فعلىٰ فرض صحة النقل وصحة الترجمة يمكن أن يراد بها التعظيم لنفسه أو الإبهام في العبارة ابتعاداً عن التصريح.

ولما ألقي القبض على المسيح من قبل كهنة اليهود وأقيمت له المحكمة سأله عظيم الكهنة: أأنت المسيح ابن المبارك؟

فقال: أنا هو، وسوف ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدير (أي: الله عزّ وجلّ) وآتياً في غمام السماء»[1].

فهل من شك مع هذا النص في أن ابن الإنسان هو غير المسيح فالإثنينيّة واضحة جداً في عبارته، إنه الإمام المهدي الذي سيحكم بأمر الله وقدرته ويأتي في غمام السماء، إشارة إلىٰ مبلغ قدرته الربانية في دولته، ولعلها الطائرة أو ما شابهها.

وهذا التنبؤ عن ابن الإنسان ورد على لسان نبي الله دانيال حيث يقول: «كنت أنظر في رؤياي ليلاً فإذا بمثل ابن إنسانٍ آتٍ على غمام السماء... وأوتي سلطاناً ومجداً ومُلكاً، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه (أي: يطيعونه) وسلطانه سلطان أبدي لا يزول وملكه لا ينقرض»[2].

---

(١) إنجيل مرقس: ١٤/ ٦١ و٦٢، ومتىٰ: ٢٦/ ٦٤.

(٢) سفر دانيال: ٧/ ١٣ و١٤.

إن ابن الإنسان قائد إلهي يؤتيه الله السلطة والقدرة وتدوم دولته ومملكته إلىٰ يوم القيامة، لا تنقرض في ما يبقىٰ من التاريخ الإنساني على وجه الأرض، وهذا ينطبق على ما ورد في مصادرنا الإسلامية عن الإمام المهدي كما جاء على لسان نبي الله دانيال، وقد استشهد بقوله المسيح في المحكمة.

وأيضاً في مكان آخر تتأكد الإثنينية بين المسيح وابن الإنسان عندما قال: «لأن من يستحيي بي وبكلامي في هذا الجيل الخاطىء يستحيي به ابن الإنسان متىٰ جاء في مجد أبيه (أي: دولة ربه) ومعه الملائكة الأطهار»[1].

فلم يقل لهم: أستحيي به... بل قال: يستحيي به ابن الإنسان... إنه الإمام المهدي الذي سيعاقب كل من يستهين بالأديان السماوية وبالأنبياء ومنهم المسيح وكلامه.

وهناك موارد أخرىٰ ذكر فيها المسيح الإمام المهدي ودولته وخصوصاً عند ذكره لعلائم الظهور وقيام ملكوت الله ومجيء ابن الإنسان في نهاية العالم فإنها في الحقيقة علائم ظهور الإمام المهدي وثورته ـ كما ذكرنا سابقاً ـ فيكون على ضوء هذا أن حديث المسيح والبشارة التي جاء بها هي دولة الإمام المهدي الإلهية العالمية وشخص الإمام وسيكون دور المسيح فيها عندما سيكلّم أتباعه بكلام صريح وليس بالأمثال ويتحدث لهم عن أشياء كثيرة عنده لم يكونوا يطيقون حملها في زمان بعثته، ألا وهي وجوب اتباع الإسلام لأنه الدين الخاتم للديانات الإلهية على الأرض تحت قيادة الوصي الثاني عشر للنبي محمد الإمام المهدي عجل الله ظهوره.

---

(١) إنجيل مرقس: ٨/٣٨.

الخاتمة

اتضح لإخواني القراء الكرام أن المستقبل البشري القريب إن شاء الله هو ظهور الإمام المهدي في ثورة دينية إلهية شاملة ينزل خلالها المسيح ليساعده على هداية الناس وكشف الحقائق الضائعة وفضح الدجل الذي أضل الناس عبر التاريخ فيتوحدون عباداً لله في أرضه سائرين على دين الله الواحد في دولة عالمية واحدة، وبالتالي ما ينتظره المسلمون وما ينتظره المسيحيون هو في الحقيقية مستقبل مشترك بعد أن تحسم فيه الخلافات ويعلن الحق بواسطة سفراء الله في الأرض المسيح والإمام المهدي نسأل الله عزّ وجلّ أن يجعله قريباً وأن نكون ممن يحضر ذلك.

والحمد لله رب العالمين.

ليلة النصف من شعبان مولد

بقية الله في الأرضين المهدي

المنتظر/ سنة ١٤١٦ هجري

الموافق ٥/ ١/ ١٩٩٦

الفهرس

[المقدمة ٧
المخلّص عند المسلمين ٩
بعثة النبي محمدﷺ ١١
أوصياء النبي محمدﷺ ١٥
أم الإمام المهدي ١٩
ولادة الإمام المهدي ٢٧
غيبة الإمام المهدي ٣٣
علّة الغيبة ٣٤
طبيعة الغيبة ٤٣
ظهور المهدي ٤٩
أهداف الظهور ٥٠
علائم ظهور الإمام المهدي ٥٩
العلائم الحتمية ٦٠
العلائم المتفرقة غير الحتمية ٦٤

انتظار المسلمين ظهور المهدي	٦٧
أسباب الانتظار	٦٩
فوائد الانتظار	٧٥
المسيحيون والإمام المهدي	٧٩
المخلّص عند المسيحيين	٨٥
بعثة المسيح	٨٧
هدف بعثة المسيح	٩٠
رفع المسيح إلىٰ السماء	٩٧
عودة المسيح إلىٰ الأرض	١٠٥
هدف العودة	١٠٥
ملكوت الله	١٠٦
وقت العودة والعلائم	١١٥
انتظار عودة المسيح	١٢٥
الخلاص الإسلامي المسيحي	١٤١
ظهور المهدي ونزول المسيح	١٤٣
هدف ظهور المهدي ونزول المسيح	١٤٥
عودة المسيح في المصادر الإسلامية	١٥٥
ظهور المهدي في الإنجيل	١٥٧

منشورات المؤلف

المهدي والمسيح	تأليف
دولة المهدي	تأليف
الطريق إلىٰ الله	تحقيق
التتمة في تواريخ الأئمة	تحقيق
المائة منقبة للصدوق	تحقيق
المهدي المنتظر في نهج البلاغة	تعريب
عمر المهدي بين العلم والأديان	تعريب
الإنسان وعالم البرزخ	تعريب
التوبة إلىٰ الله	تعريب
لقاءات مع صاحب الزمان	تعريب

بالإضافة إلى كتب وكتيبات أخرىٰ.